تسهيل البلاغة

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والتسجيلات
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٥٩٢٥ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي
977-331-277-1

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٤٤٦٤٩٦

تصدير

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه رسالة بعنوان «**تسهيل البلاغة**» كتبتُها لبعض إخواني من طلاب العلم.

ثم بدا لي أن أجعلها عامة يستفيد منها الجميع وتكون ملكًا لهم، فما من شك أن البلاغة زينة الكلام لا يستغني عنها أحد سواء كان كاتبًا أو خطيبًا أو شاعرًا، وكيف يستغني عنها، وهي تعتمد على المنطق الخلاب، والبيان الجذاب، والكلام الذي يملك النفوس ويأسر الألباب، وذلك بفضل ما أفاضه عليها القرآن من طرائق التعبير، وروائع الأسلوب، وإعجاز الصياغة، وبراعة القصد إلى الهدف.

ثم بما اكتسبته من أسلوب الرسول ﷺ، وبيانه الساحر، وحكمه البالغة، وبلاغته المؤثرة، وقدرته الفائقة على الاختراع والتشقيق لضروب الكلام، وتصوير المعاني بأروع الصور، وابتداع الأخيلة التي لم تُعرف في كلام العرب، وظلت بعده من الحسنات التي لم يسنج من منوالها، ويدبجوا كلامهم على مثالها دون أن يقتربوا من حدها[1].

---

(١) انظر «البلاغة النبوية وأثرها في النفوس» لحسن جاد، بحث في مجلة البحوث (٥/١٤٩).

وهذه الرسالة التي بين يديك طريقك – إن شاء الله – إلى السحر الحلال، والنبع الدافق والمشرع العذب وسجاحة الأسلوب، فقد صارت بعد أن ألبستها ثوبًا قشيبًا من السهولة واليسر – بحمد الله – تدخل على القلوب والأحاسيس دخول المأنوس المرغوب فيه تساندت في صقلها أسهل الأمثلة وتعاونت لاستلال ما يخامر القارئ من ريب في سهولتها أو يداخله خوف على بكارتها[١]، ولن أتحدث عنها فهي أولى بالحديث عن نفسها.

والمسك ما قد شفَّ عنه ذاته لا ما غَدَا ينعتُه بائِعُه

---

(١) لا شك أن في الكتب الأدبية لاسيما البلاغة صعوبة؛ حيثُ لا تفيد المبتدئ، كما قال ذلك محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في كتابه «شرح الأصول من علم الأصول» (ص١٣٢).

نصّ الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد:

من أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي إلى جناب الأخ الكريم / ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،،

أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، وأسأله لي ولكم الثبات فيما نقول ونذر. أي أخي ... فارقتكم ولم يفارقني – علم الله – كرم أخلاقكم.

وبفراقكم – أخي – فارقت تلك القلعة الشامخة شموخ الجبال في قاع جهران[١]، وما كنت أشتهي ذلك، لكن قدّر الله وما شاء فعل.

فهكذا الدنيا دار اجتماع وفرقة، دار بشرٍ وأحزانٍ، المسافر فيها مقيم، والمقيم فيها مسافر، والسفر قطعة من العذاب لن ينتهي بصاحبه إلاّ في حفرة مظلمة، فتبًا لها من دار.

طبعت على كدر وأنت تريدها   صفواً من الأقذار والأكدارِ

وقال أبو الطيب:

لا تَلْقَ دهرك إلاّ غَيْرَ مُكتَرثٍ   ما دامَ يَصْحَبُ فيه رُوحَكَ والبَدنُ[٢]

(١) تلك القلعة هي دار الحديث العامرة بأهلها، والقائم عليها شيخنا الجليل محمد بن عبد الله الإمام.

(٢) أي لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حيًّا؛ فإن الشدّة والرخاء يتعاقبان فيه على الحيّ، فلا يأس مع الحياة.

أي طالما رجوت أن أبقى معك – أنت وإخوانك – حتّى ننتهي من دروس البلاغة التي هي أحب العلوم الأدبية قدرًا، وأرسخها أصلاً، وأبسقها فرعًا، وأعذبها وردًا، وكأني بك وأنت تأخذ عليّ وعدًا بأن أكتب لك رسالة أضمنها «**تسهيل البلاغة**» لا تحتاج معها إلى شرح شارح أو زيادة مستزيد.

وها أنا أفي بوعدي وها هو قلمي «يحرك الواشي [١]، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويُريك بدائع الزهر، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر».

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤٍ … رطب يُصافحهُ النسيمُ فيسقطُ
والطيرُ يقرأُ والغديرُ صحيفةٌ … والريحُ تكتبُ والغمامُ يُنَقِّطُ

أبي عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشدي

---

(١) **الواشي**: النقش.

تعريف البلاغة

البلاغة لغة[١]:

أي أخي، البلاغة تعرف في اللّغة بأنها الوصول والانتهاء، فقلبك – يا عزيزي – هو محطة الانطلاق، وقلب السامع هو محطة الوصول!!.

ومتى وصل كلامك إلى قرارة نفس السامع ليؤثر فيها تأثيرًا عظيمًا كنت – حقًا – بليغًا، وإن لّم تكن كذلك لن توصف بالبلاغة ولو كنت أبلغ من سحبان وائل!!.

وإذا بلغ كلامك إلى قلب السامع بحيث يؤثر في قلبه ويمتد التأثير إلى بعض جوارحه كقشعريرة الجلد وحصول الدموع، فأنت من أبلغ الناس[٢].

البلاغة اصطلاحًا:

وهو أن يكون الكلام فصيحًا قويًا فنيّاً يترك في النفس أثرًا خلابًا ويُناسب الشخص والحال والزمان فمثال الشخص.

---

(١) قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله – (كما في «المفردات» (ص٦٠)): «البلاغة تُقال على وجهين:
أحدهما – أن يكون بذاته بليغًا، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صوابًا في موضوع لغته، وطبقًا للمعنى المقصود، وصدقًا في نفسه. ومتى اخترم وصف من ذلك؛ كان ناقصًا في البلاغة.
والثاني – أن يكون بليغًا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرًا، فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له، وقوله تعالى: ﴿**وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا** ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣]، يصحح حمله على المعنين.

(٢) أخرج الترمذي في «سننه» (٢/١١٢) بسند صحيح صححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «**وعظنا رسول الله – ﷺ – موعظة بليغة!، ذرفتْ منها العيون!، ووجلتْ منها القلوب**».
فمن خلال هذا الحديث تستطيع أن تدرك بحواسك التي منحك الله إياها أن البلاغة نفاذ إلى القلب والعقل، وحديث يحمل قدرًا واضحًا من الأهمية، وموقف يحمل طابع الإفادة والمتعة.

فلو قلت لزوجتك الأمية: ناوليني المِزْبر من القِمْطَر (تريد القلم من المحفظة) لم تكن بليغًا رغم فصاحته وقوته[١]، إلاّ أنه لم يلائم مستوى زوجتك[٢].

ومثال الحال:

فلو دُعيتَ إلى صلح فتلوتَ قول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] لم تكن بليغًا.

أمَّا لو تلوتَ قول الله – سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨]. كنت – حقًا – فصيحًا بليغًا؛ لأنك للصلح، ولم تدع لتنفيذ الحكم.

وبالنسبة للزمان:

فإذا كان الزمان زمان ظلم وجور سلطان، فصعدت المنبر تحثّ الناس على الخروج وتهييجهم على سلطانهم لم تكن بليغًا؛ لما يترتب على الخروج من المفاسد أعظم من المصالح، ولكن إن تحدثت عن عدل عمر وصلاح رعايته فقد بلغت مرادك وكنت فصيحًا بليغًا وهكذا.

---

(١) ليس من البلاغة الحديث مع العوام بالعامية بدعوى إفهامهم فإن من شروط البلاغة أن يكون الكلام بالفصحى، فقولك لزوجتك الأمية ناوليني القلم من المحفظة لفظ فصيح سقط في مسقطه. كذلك إن كان لك زوجة أديبة فقلت لها: ناوليني المزبر من القمطر هو – أيضًا – لفظ فصيح سقط في مسقطه؛ ولهذا قيل لكل مقام مقال؛ وعرّف البعض البلاغة «بأنّها الكلمة المناسبة في المكان المناسب».
وهكذا لغتنا الحبيبة – أيها الحبيب – لها مرادفات تفوق الحصر، فكل شخص نكيل له بالمكيال الذي يلائمه، وهذه هي البلاغة.
وأما الحديث مع العوام بالعامية بدعوى إفهامهم، فقد قال الدكتور / فتحي جمعة أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم – حفظه الله وعافاه – كما في كتاب «فقه الأخلاق للعدوي» (١ / ٣١٤):
«أما الجنوح للعامية بدعوى «إفهام العوام» فإن لم يكن مداراة للعجز عن الفصحى! وقصر الباع في استعمالها، فهو ادعاء يظلم الفصحى والعوام في وقت واحد معًا!!.
يظلم الفصحى بأنها غير مفهومة. ووالله إنها لمفهومة!!. ويظلم العوام بأنهم لا يفهمون. ووالله إنهم ليفهمون!! وإلاّ فكيف يخشعون للقرآن، ويتأثرون ببالغ الموعظة وجميل البيان» اهـ.

(٢) «تيسير البلاغة» لأحمد قلاش (ص١٠).

ولهذا قيل: «رُبَّ كلام في نفسه حسنًا خلابًا حتّى إذا جاء في غير مكانه وسقط في غير مسقطه خرج عن حد البلاغة»[١].

بل إنه يعد معيبًا عند الحكماء فضلاً عن البلغاء كما قيل:

وإن كـلامَ المرءِ في غـيـر كُنهِـهِ ... لكالنَّبلِ تهوي ليس فيه نصالُها

---

(١) «البلاغة الواضحة» لعلي الجارم ومصطفى أمين (ص١١).

الفصاحة

الفصاحة لغةً:

الإبانة والظهور، قال الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص : ٣٤]، أي أبينُ منِّي قولاً.

والعرب تقول: « أفصح الصُّبح » إذا أضاء. و« أفصح الصَّبيُّ » إذا بان كلامه.

وتعرف الفصاحة اصطلاحًا:

هي عبارة عن الألفاظ البيِّنة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، المأنوسة الاستعمال بين الأدباء والشعراء لمكان حسنها، ولطافة موقعها، ورشاقة تركيبها.

فصاحة الكلمة:

أي أخي، لن تكون الكلمة فصيحة بليغة حتّى تسلم من أربعة عيوب[١]:

(١) قال ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » (١٤٥) : « الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام، قسمان حسنان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان أحدهما: ما تداول استعمال السلف والخلف من الزمان القديم إلى زماننا هذا، ولا يُطلق عليه أنه وحشيّ، والآخر ما تداول استعمال السلف دون الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي يُعاب استعماله عند العرب؛ لأنه لم يكن عندهم وحشيًا وهو عندنا وحشي، ولا يسبق وهمك إلى قول قُصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا، فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هو الذي كان عندهم مستقبحًا، والاستعمال ليس بدليل على الحسن، فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن، وإنما نستعمله لضرورة، فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال، واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يُؤخذ بالتقليد من العرب؛ لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال، وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت عُلِمَ حُسنُه من قبحه – ألا ترى أن لفظة المزنة – قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، لا يختلف أحد في حسنها، وكذلك لفظة البصاق فإنها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، فإذا استعملها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجًا لها من القبح، ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها، بل يعاب مُستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها، فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك =

العيب الأول من عيوب الكلمة - تنافر الحروف [١] :

تنافر الحروف هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان؛ بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج[٢].

واعلم – أخي – أنه ليس هناك ضابط لمعرفة الحروف سوى الذوق السليم[٣].

= ويثقل عليك النطق به، وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة، وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة، وذلك في اللفظ عيبان: كونه غريب الاستعمال، وكونه ثقيلاً على السمع كريهًا على الذوق وليس وراءه من القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً.

(١) **التنافر قسمان**: الأول – شديد الثقل كالظش (للموضع الخشن) ونحو (هُعخع) لنبات ترعاه الإبل. كقول الأعرابي: تركت ناقتي تَرْعَى الهُعْخُع.

والثاني – خفيف كـ(النقنقة) لصوت الضَّفادع و(النُّقافي) للماء العذب الصابي، ونحو (مستشزرات) بمعنى مرتفعات من قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه:

غدائرها مستشزرات إلى العلا ... تضِلُ العُقاص في مثنى ومُرْسَلِ

(٢) قال ابن سنان في كتابه «سر الفصاحة» (ص٦٥): «إن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن الألوان المتقاربة؛ ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الأصفر؛ لقرب ما بينه وبين الأصفر، وبُعد ما بينه وبين الأسود.

وإذا كان هذا موجودًا على هذه الصفة، لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظ المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة، وقد قال في هذا المعنى:

فلوجُهُ مِثْلَ الصبح بيض ... والفَرْعُ مِثْلَ الليل مُسْوَدٌّ
ضدَّان لَما اسْتَجْمعا حَسُن ... والضِدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

وهذه العلة يقع للمتامل وغير المتامل فهمها ولا يمكن منازع يجحدها ومثال التاليف من الحروف المتباعدة كثيرة جلّ كلام العرب عليه، فلا يحتاج إلى ذكره، فاما تاليف الحروف المتقاربة، فقد قدّمنا في الفصل الرابع مثالاً حكي منه وهو (الهعخع).

ولحروف الحلق مزية في القبح إذا كان التاليف منها فقط، وأنت تُدرك هذا أو تستقبحه كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان وبعض النغم من الأصوات».

(٣) الذوق في اللغة: الحاسة يُدركبها طعم المآكل. وفي الاصطلاح: قوة غريزية لها اختصاص بإدراك =

العيب الثاني - غرابة الاستعمال [١]:

= لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة على الدروس وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه - وأيضًا - يحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاف، فإن ذلك أقوى أسباب الذوق.

واعلم أن الذوق السليم هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه؛ لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل وينفر من صوت البوم والغربان ينبو سمعه عن الكلمات إذا كانت غريبة متنافرة الحروف، ألا ترى أن كلمتة المزنة والديمة (للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع بخلاف كلمة البصاق التي في معناهما، فإنها قبيحة تصك الأذان. وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك. انظر «جواهر البلاغة» (ص٣٠).

ومن درر ابن الأثير قوله في كتابه «المثل السائر» (ص١٤٩): «وقد رأيت جماعة من الجهال، إذا قيل لأحدهم: إن هذه اللفظة حسنة، وهذه قبيحة أنكر ذلك، وقال: كل الألفاظ حسنة، والواضع لم يضع إلاّ حسنًا.

وقد يبلغ جهله أن يفرق بين «الغضة الغصن» و«الفظة العسلوج»، وبين لفظة «المدامة» ولفظة «الإسفنط» (أي الشراب) وبين لفظة «السيف» ولفظة «الخنشيد»، وبين لفظة «الأسد» ولفظة «العذوكس»، فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب، ولا يجاب بجواب، بل يُترك وشأنه كما قيل: اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقي الجعر في رحله، وما مثله في هذا المقام إلاّ كمن يسوّي بين زنجية سوداء مظلمة السواد، شوهاء الخلق ذات عيون محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة، وشعر قَطط (أي قصير جعد) كأنه زبيبة، وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة، ذات خد أسيل، وطرف كحيل، ومبسم كأنما نظم من أقاح، وطرة كأنها ليس على صباح، وإذا كان من سقم النظر يسوّي بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون من سقم الفكر أن يسوي بين هذه الألفاظ وهذه، ولا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام، فإن هذه حاسة وهذه حاسة، وقياس حاسة على حاسة مناسب.

(١) الغرابة قسمان:

القسم الأول - ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة وذلك في الألفاظ المشتركة (كمسرَّج) من قول رُؤبة بن العجاج:

ومُقلةَ وحاجبًا مُزَجَّجًا ... وفاحمًا ومِرْسِنًا مُسَرَّجا

فلا يعلم ما أراد بقوله (مُسرَّجًا) حتّى حار أئمة اللغة لتردد الكلمة بين معنيين بدون قرينة.

«فالمرسن» هو الأنف فما معنى أن يكون الأنف مسرجًا؟، وقيل المسرج المحسن، وقال بعضهم: أنه السراج الذي يعطي الإضاءة، فكأنه يصف أنفها بالضوء واللمعان.

وقال ابن دريد أن أنفه في الاستواء والدقة كالسيف، فانظر كيف أدخل الحيرة على السامع في فهم المقصود.

وأما مع وجود القرينة فلا غرابة كلفظة «عزّر» في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ =

وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء؛ لأن المعوَّل عليه في ذلك استعمالهم ولا ضابط لمعرفة غرابة الاستعمال إلاّ بكثرة الاطلاع على كلام العرب والإحاطة بالمفردات المأنوسة.

العيب الثالث – مخالفة القياس:

بأن تكون الكلمة مخالفة لقواعد النحو والصرف كقول الشاعر:

الحمد لله العليّ الأجْلَلِ

فإن كلمة «الأجْلَلِ» التي ذكرها الشاعر جاء بها على هيئة مخالفة للقياس اللغوي؛ لأن القياس هو: إدغام المثلين (لَ لِ) ولكن الشاعر أتى بالكلمة غير مُدْغَمة المثلين، فالقياس أن يقول: «العليّ الأجلّ».

العيب الرابع – الكراهة في السمع:

بأن تكون الكلمة وحشي تأنفها الطباعُ، وتمجُّها الأسماع وقد مثَّلُوا لذلك بكلمة «الجِرِش» في قول أبي الطيب:

مبـاركُ الاسم أغـرُّ اللقب   كريمُ الجرش(١) شريفُ النسبِ

فإن هذه الكلمة فهي وإن كانت عربية إلاّ أنها ثقيلة تنبو عنها الأسماع، كما تنبو عن سماع الأصوات المنكرة (٢).

= [الأعراف: ١٥٧]، فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة، لكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.
القسم الثاني – ما يعاب استعماله لاحتياج إلى تتبّع اللُّغات وكثرة البحث والتّفتيش في المعاجم، وقد يعثر على الكلمة بعد كدّ وجهد جهيد، وقد لا يعثر عليها البتة.
ومثل هذا لا يحسن ولا يجمل. انظر «جواهر البلاغة» (١٢ – ١٣) بتصرف.

(١) الجرش: أي النفس.

(٢) أخي لكي تبلغ حاجتك في فهم الكلمة البليغة يجب أن تُبالغ في اختيار اللفظة الخفيفة على الألسنة اللذيذة على الأسْماع الحلوة في المذاق الجارية على العادة المألوفة في الاستعمال (أي الاستعمال العربي) فلا اللسان تكبرها ولا الأسماع ترفضها مثل كلمة «جحيش» بمعنى «فريد» وكلمة «جَفَخَتْ» بمعنى فَخَرتْ.
وعليك – أيضًا – أن تستعمل الألفاظ في مواطنها القوية الجزالة في موطن القوة حيث الوعد والزجر =

فصاحة الكلام:

أي أخي، لكي يكون الكلام فصيحًا بعد فصاحة الكلمة مما يبهم معناه ويحول دون فهم المعنى المراد، لابد أن يخلو الكلام من ستة عيوب[1]:

العيب الأول - ضعف التأليف:

وهو أن يكون الكلام جاريًا على خلاف قوانين النحو والصرف.

العيب الثاني - تنافر الكلمات مجتمعة:

وهو أن تكون الكلمة ثقيلة من تركيبها مع بعضها تمجها الأسماع وتنفر منها الطباع، فلا الذوق يستملحها ولا النفس تشتهيها.

العيب الثالث - التعقيد اللفظي:

وهو كون الكلام خَفيّ الدّلالة على المعنى المراد به[2] مما يوقع السامع في حيرة من فهم المعنى المراد، والحكمة أن تكون الكلمات خدم المعنى لا العكس.

العيب الرابع - التعقيد المعنوي:

وهو أن يعمد المتكلم إلى الحديث في المعنى مستخدمًا كلمةً لا تدل على

= والتهديد والحماسة والفخر والمصارعة والفتوة. والألفاظ الرقيقة في مواطنها حيثُ التلطف واستجلاب المودة وحسن الوعد. والقرآن الكريم أعدل شاهد على هذا الأسلوب.

ومن أمثلة الألفاظ القوية الجزالة في مواطنها في الأسلوب القرآني قوله - تعالى - : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨]، فالموقف فيه شدّة وهول «قيام القيامة» استعملت الألفاظ المناسبة لذلك «نفخ - صعق». وفي الألفاظ الرقيقة في موطنها قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) انظر «جواهر البلاغة» (ص٣٠).

(٢) كل ذلك ينشأ من تقديم أو تأخير أو فصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز مع بعضها كالفصل بأجنبي دخيل بين الموصوف والصفة، وبين البدل والمبدل منه، وبين المبتدأ والخبر وبين المستثنى والمستثنى منه مما يسبب ارتباكًا واضطرابًا شديدًا، وهذا يوجب اختلال المعنى المراد، بل واضطرابه. وهو معيب عند أهل البيان ولا يوصف صاحبه بالبلاغة !!!.

المعنى المراد، وقد لا يستخدم اللوازم البعيدة والقرائن الواضحة التي تدل على المعنى المقصود مما يجعل المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفًا، كقول القائل: «نشر الملك ألسنته في المدينة» يريد جواسيسه والعرف «عيونه»(١).

التعقيد المعاصر:

أي أخي، أُحذّرك التعقيد المعاصر، وهو الإغراق في الرمزية التي تجعل لكل كاتب وشاعر قواعده الخاصة، ومن أمثالهم: «المعنى في بطن الشاعر أو الكاتب». وهذا مخالف لقواعد اللغة وقواعد البلاغة وما عُرف عن العرب.

قال العلامة اللغوي فضل حسن عباس: «إن خفاء المعنى والإيحاء الذي يتطلب الذكاء، وإعمال الذهن، لا تنكره البلاغة العربية، ولا ينكره البلغاء، ولكن الإغراق في الرمزية هو الذي تأباه العربية بنت الشمس وضحاها، ذلك أن هذه الرمزية من شأنها أن تقضي على كل وضوح من جهة، أن تجعل لكل شاعر قواعده الخاصة، وركائزه التي ينطلق منها وحده من جهة أخرى.

أن المجاز والكناية في العربية من أروع سماتها، وأجمل بسماتها، ولكن على أن تكون الكناية واضحة اللزوم، وأن يكون المجاز ذا علاقة قريبة قد أجد إنسانًا بعيداً عن الطاء، لا يحسن إلاّ أن يأخذ، ترى أيحسن أن أصف هذا الإنسان بأنه حفرة؛ لأن الحفرة تأخذ ولا تعطي؟!

وإذا وجدت إنسانًا كثير القراءة يعيش بين الكتب، أيحسن أن أصفه بالفأرة؛ بحجة أن الفأرة تنخر الكتب؟!»(٢).

ولقد وصف الرمزيين الأديب أحمد حسن الزيات – رحمه الله – فأبدع وأمتع وضرب منهم كل بنان، فقال: «يدفعون بالنظريات إلى حدها الأقصى، فيقعون

(١) قال أحد أئمة البيان: «إن الكناية التي تستعملها العرب لأغراض ويُغيِّرُها المتكلم ويريد بها أغراضًا أخرى تعتبر خروجًا عن سنن العرب في استعمالاتهم ويعد ذلك تعقيداً في المعنى».

(٢) «البلاغة فنونها وأفنانها» لفضل حسن عباس (١/٥٢).

في ظلمة الفسق، وهم يطلبون أضواء الشفق، وإن كان قد راقهم من الرمزية ذلك التآلف بين اللفظ والمعنى، وذلك التزاوج بين الحواس المختلفة، وبخاصة بين البصر والسمع، فيعجبهم أن يقولوا: صوت الرائحة، ولون الكلام، وعطر الفكر، وخضرة الأمل، فإن البيان العربي لا يأبى هذا النوع من المجاز، ما دامت علاقته قريبة، ومناسبته ظاهرة.

فإذا أدى إلى التعقيد المعنوي ببعد اللزوم في الكناية، أو غرابة العلاقة في المجاز، كالكناية بنصوع الجبين عن خلو الملاح من الدلالة على الذكاء، أو استعارة الأسد للرجل الأبخر لا للرجل الشجاع، على اعتبار أن البخر والشجاعة من لوازم الأسد، كان ذلك هو العيّ الذي يناقض البيان واللبس الذي يناهض البلاغة»(١).

قلت: ومثل هذا الصنف كثر من الشعراء الرمزيين المتأثرين بالثقافة الوافدة كشعراء الحداثة وبعض الكتاب الذين يخفون المعاني حتّى على أنفسهم، فإذا سألت أحدهم ما معنى قولك في شعرك أو في مقالك تعظم في نفسه وانتفخ، فمثل هذا الصنف قد كثر الشكوى منهم حتى من نفوسهم التي هي بين ضلوعهم، ونعى حالهم كثير من الغيورين على اللغة.

قال أحد الغيورين ينعي على الرمزيين رمزهم المغلق:

لُغَةٌ مشَوَّهَةٌ وَمَعْنىً حَائِرُ ... خَلْفَ المجازِ ومنطقٌ مُتَعَثِّرُ
وزَعيمُهُم في زَعْمِهِم مُتَفَنِّنٌ ... عجبًا! أكانَ الفَنُّ فيما يُضْمَرُ؟
لا الأرضُ تَفْهَمُ ما يُصَوِّره لها ... هذا الزَّعمُ ولا السَّماءُ تُفَسِّرُ!

العيب الخامس - كثرة التكرار:

وهو أن يتكرر اللفظ الواحد مرة بعد أخرى، وذلك معيب عند علماء البيان، وسواء كان هذا اللفظ اسمًا أو فعلاً أو حرفًا، أو اسمًا ظاهرًا أو مغمرًا.

---

(١) «دفاع عن البلاغة» (ص١٥٨).

ومن التكرار قول أبي الطيب :

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قـــلاقل هـم كلّـهنّ قـــلاقلُ

وقوله أيضًا :

إنـي وأسـطـارٍ سُـطـرتـه سـطـرًا لقـائلٌ يا نـصـرُ نصـر نصـرًا

فانظر إلى التكرار في حروف الطاء والصاد الذي انتزع من الأبيات حلاوتها .

العيب السادس - تتابع الإضافات:

وهو أن يكون الاسم مضافًا إضافةً متداخلةً غالبًا .

لقول الشاعر :

الـزَّهْـرُ والـقَـطْـرُ فـي رُبَـاهـا
مـــا بَيْنَ نَـظْـمٍ وَبَـيْـنَ نَـثْـــرِ
حَــــدَائِقُ كَــــدٌ كُـلٌ ريـحٍ
حَلَّ بـهـــا خَـــيْطُ كلّ قَـطْرِ

ومثال ذلك - أيضًا - قول ابن بابك :

حمامةُ جرحا حومةِ الجندلِ اسجعي
فـانـت بمرأى من سـعـادٍ ومـسـمـعٍ

ففيه إضافة (حمامة) إلى جرحا، ثم إضافة (جرحا) إلى (حومة)، ثم إضافة (حومة) إلى (الجندل)

فالإضافة بحد ذاتها عيب يُخلّ بفصاحة الكلام .

الأسلوب

أي أخي، إن الأسلوب أيًا كان لابد أن يتصف بثلاث صفات هي:

الجدة:

وهي اختيار اللفظة، وطرافة العبارة، فالكاتب لابد أن تكون له شخصية حتى يكون كلامه منبثقًا من ذهنه لا من ذاكرته، ومن نفسه لا من الناس.

الإيجاز:

أما الإيجاز، فهو من أبرز الصفات المميزة للأسلوب الجيد؛ وذلكم لأن لكل كلام غاية تنتهي إليها.

التلاؤم:

وأما التلاؤم، فهو ما بين الجمل من موسقة وتنسيق وروعة إيقاع، وإذاكانت الصورة شكلاً في الأسلوب، فليس ذلك دليلاً على إهمال المعنى، وعدم الاكتراث به(١).

الأسلوب: هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأوقع في نفوس سامعيه(٢).

---

(١) انظر «البلاغة فنونها وأفنانها» للدكتور/ فضل حسن عباس (١/ ٧٠).

(٢) انظر «جواهر البلاغة» للهاشمي (ص٣١)، و«البلاغة الواضحة» لعلي الجارم ومصطفى أمين (ص١٢)

وينقسم الأسلوب إلى أقسام:

الأسلوب العلمي:

أهم مميزاته أن يخاطب العقل ويوضح الحقائق العلمية بأوضح حجة وأسطع برهانًا.

وجماله في وضوح حجته، وسطوع بيانه، وسهولة عباراته، وحسن تقريره.

خاليًا من الإغلاق(١) والإغراق(٢)، إلاّ ما جاء من ذلك عفوًا.

ومثالٌ على ذلك المتون العلمية كمتون الفقه واللغة وردود أهل السنه على غيرهم(٣).

الأسلوب العلمي المتأدب:

وهو ما كان متآلفًا من الأسلوبين، فيخاطب العقل والعاطفة ومن مميزاته أنه يُبْرزُ الحقائق العلمية في أسلوب جذّاب بعيد عن الجفاف العلمي، وذلك بالتخفيف من المصطلحات العلمية واختيار الألفاظ المنتقاة الممتزجة بالعاطفة، المبرزة للشعور والإحساس.

فيكسب الكلام وضوحًا وإشراقًا.

---

(١) الإغلاق: هو ما يوجب حيرة على السامع في فهم المعنى لتردده بين معنيين أو أكثر، فيصبح مجالاً للظنون، ومثارًا للتوجيه والتأويل.

(٢) إغراق: هو ألاّ يغرق صاحبة في الكناية، ومحسنات البديع الذي هو من خصائص الأسلوب الأدبي.

(٣) وتوضيح ذلك أن الذي يكتب في المتون العلمية كالفقه واللغة والردود العلمية إنما يكتب بأسلوب علمي؛ لأن الغرض هو توضيح الحقيقة، وتوصيل المعارف إلى الأذهان بعبارة سهلة دقيقة غير معتمدة على الألفاظ الموحية والخيال أو إثارة العواطف والمشاعر؛ لأن هذا الأسلوب يخاطب العقل وحده.

ينساب إلى سمع السامع وقلبه انسياب السيل إلى الحدورة، فالخلايا لها أذان تعي حُلل البيان وتستمتع بحلاوة الإيقاع، فما أشبه القارئ لهذا الأسلوب، بخلية نحل وانتقاله كانتقال النحلة بين الزهور العطرة والحدائق النضرة.

وهذا الأسلوب هو الغالب، تجده في رياض الكتاب والسُّنَّة وآثار الصحابة وأقوال السلف كالحسن البصري، ومؤلفات الشافعي، وابن الجوزي، وابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، وغيرهم كثير...

الأسلوب الأدبي:

الجمال أبرزُ صفاته، وأظهر مُمَيِّزاته، ومنشأُ جماله ما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، وتَلَمُّس لوجوه الشَّبه البعيدة بين الأشياء وإلباس المعنويّ ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي.

والغرض من هذا الأسلوب نقل الشعور والإحساس إلى الآخرين بمخاطة العواطف.

ويقوم على إبراز الفكرة الممزوجة بالعواطف والنسق التعبيري بألفاظ منتقاة والصورة والأخيلة.

ويتميز بإشاعة العاطفة المبرزة للشعور والإحساس، والألفاظ الموحية والترادف والتكرار.

ومن السهل أن تعرف أن الشعر والنثر الأدبي هما موطنا هذا الأسلوب ففيهما يزدهر، وفيهما يبلغ قمة الإبداع وغاية الجمال.

وإنك لتلمس هذا الأسلوب لدى الجاحظ في بيانه، والحريري في مقامته، و المتنبي في رائعته ...»

الأسلوب الخطابي:

هنا تَبْرُزُ قوَّة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه؛ لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوَّة عارضته، وسطوعُ حجَّته ونبراتُ صوته، وحسنُ إلقائه، ومُحْكَمُ إشاراته.

ومن أظهر مُميزات هذا الأسلوب التكرارُ (!) واستعمال المترادفات (!) وضربُ الأمثال (!)، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرَّنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من إخبار إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثُمَّ واضحًا قويًا، ويظن النَّاشئون في صناعة الأدب أنه كلما كثر المجاز، وكثر التشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه، وهذا خطأٌ بيِّنٌ ، فإنّه لايذهب بجمال هذا الأسلوب أكثرُ من التكلف ولا يُفْسِده شَرٌّ مِنْ تَعَمُّد الصناعة [١].

ومن خير الأمثلة لهذا الأسلوب خطبة النّبيّ - ﷺ - عقب غزوة حُنين، حينما بلغه أنهم ساخطون على قلَّة نصيبهم من الغنائم

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ[٢] ،

---

(١) انظر «جواهر البلاغة» لأحمد الهاشمي (ص٣٢)، وانظر - أيضًا - كتابي «تحفة الخطيب» ففيه ما يشفي ويكفي - إن شاء الله - .

(٢) يا معشر الأنصار: تخصيص الخطاب أساس مهم من الأسس التي يمتاز بها أسلوب الخطابة عن غيره من أساليب الأدب. والخطبة تحفل بتذكير الأنصار بأنهم هم المخاطبون؛ فابتدأت بعبارة «يا معشر

ما قالةٌ (١) بلَغَتْني عَنْكُمْ، وَجِدَة (٢) وَجَدتُموها في أَنْفُسكُم؟ أَلَمْ آتكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُم الله، وعالَةً (٣) فأغناكم الله، وأعْداءً فَألَّفَ بين قُلوبكم؟»

قالوا: بلى(٤)، الله ورسوله أمنّ (٥) وأفضل.

ثم قال: «ألا تُجيبُونَني يا مَعْشَرَ الأنصار؟ (٦)»

قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسولِه المنُّ والفضلُ.

قال رسول الله – ﷺ – :

«أما والله لو شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصدقْتم ولَصُدِّقْتُم، أَتَيْتَنا مُكذّبًا فَصَدَّقْناك،

= الأنصار» ثم تكرر هذا التعبير، وتكرر ذكر الأنصار مرات عديدة، وكان الخطبة تراعي أنهم كلّمااستغرقوا في تعمق المعاني ومتابعة الخطبة، أعادهم هذا النداء «يا معشر الأنصار» إلى التنبيه والتيقظ، فضلاً عن إشعارهم بأنهم المخاطبون والمعنيون. «البلاغة النبوية وأثرها في النفوس» بحث أعده حسن جاد في مجلة البحوث عدد (٥) ص (١٤٩).

(١) قالة: مقالة يعني كلامًا.

(٢) جِدة: بكسر الجيم من الموجَدة، يعني السخط والغضب.

(٣) عالة: يعني فقراء.

(٤) بلى: جواب بمعنى نعم في جواب الاستفهام المنفي.

(٥) أمنّ: من المنّ وهو إظهار الفضل.

(٦) الأسئلة من الأسس التي يمتاز بها أسلوب الخطابة، فإن توجيه الأسئلة إلى السامعين يحقق للخطيب أهداف، فمنها:

أنها توقظ عقول السامعين، وتُثير حماسهم، واهتمامهم للبحث عن إجابة فيما بينهم وبين أنفسهم، وهذه اليقظة يحتاجها الخطيب ليعوا كلامه وأهدافه، والواقع أن الخطيب لا ينتظر من السامعين الإجابة، ولا يتوقعها بل هو الذي سيُجيب عن أسئلته؛ لأنها أسئلة هادفة، صاغها بطريقة معينة في تسلسل وترتيب يؤدي بها عادة إلى إجابة تلقائية يُريدها الخطيب، والخطبة حافلة بالأسئلة العديدة المتنوعة، بل تكاد تكون الأسئلة أبرز ما فيها، فقد استهلها النّبيّ – ﷺ –: **«ما قالةٌ بلغتني عنكم؟»** ثُمَّ يواصل الأسئلة **«ألم آتِكُمْ ضُلالاً فهداكم الله؟»** ثمَّ: **«ألا تُجيبونني يا معشر الأنصار؟»** وهكذا. انظر «البلاغة النبوية» (٥/١٥٧).

ومَخْذولاً فَنَصرْناكَ، وطريدًا فآويناكَ، وعائلاً فآسيناك (١)، أوجدْتم يا مَعْشَرَ الأنصارِ في أنفُسكُمْ في لُعَاعَةٍ (٢) من الدُّنْيا تألَّفْتُ بها قَوْمًا ليُسْلموا وَوَكلْتُكُم(٣) إلى إسْلامكم؟ ألا ترضونَ يا مَعْشرَ الأنْصارِ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاة والبعير، وتَرْجعوا برسول الله إلى رِحَالكُم؟ فوالَّذي نفسُ مُحمدٍ بيَده، لَوْلا الهجْرَةَ لكُنْتُ امرءًا من الأنْصار، ولو سَلَكَ النَّاسُ شعْبًا وسَلَكَتْ الأنَصارْ شعْبًا(٤) لسَلَكْتُ شعْبَ الأنْصار، اللَّهُمَّ ارْحم الأَنْصارَ وأَبْناءَ الأنصار، وأبناءَ أبناءِ الأنصار».

فبكى الأنصار حتّى أخضَلُوا(٥) لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْمًا(٦) وحظًّا (٧)(٨).

فانظر – أخي في الله – كيف تدرّج النّبيّ – ﷺ – في إثارة شعور الأنصار، حتّى وصل إلى القمّة.

فمن الواضح في الخطبة أنها مقسمة إلى عناصر محددة متميزة، وهذه العناصر تتدرج إلى الغرض المنشود في ترتيب وتنسيق واضحين، ونستطيع الإلمام السريع بهذه العناصر كما يأتي(٩):

(١) عائلاً: فقيرًا محتاجًا، وآسيناك: بمعنى ساعدناك.

(٢) اللعاعة – بضم اللام –: النبات الضعيف الصغير، والمراد الشيء اليسير، وفي لعاعة: أي بسبب لعاعة.

(٣) وكلْتكم: تركتكم.

(٤) الشعْب – بكسر الشين –: الطريق في الجبل.

(٥) أخضلوا: يعني بللوا بالدموع.

(٦) قسمًا: القسم بفتح القاف وسكون السين: العطاء، ولا جمع له.

(٧) الحظ: المراد به النصيب.

(٨) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، (٧٢٤٥)، ومسلم (٢٠٦١) عن عبد الله بن زيدٍ.

(٩) انظر «البلاغة النبوية وأثرها في النفوس» لحسن جاد بحث في مجلة البحوث عدد (٥/١٥١)

١ - في المستوى العالي من الخطابة لابد للخطيب من (مقدمة) يجعلها منطلقًا ومدخلاً إلى موضوعه، وتختلف هذه المقدمة من خطبة إلى خطبة باختلاف الموضوع والمناسبة والظروف، ولكن لابد من أن تكون مثيرة للانتباه، وموضع تسليم السامعين، بحيثُ يترتب على ذلك أن تكون أساسًا لمتابعة موضوع الخطبة حتّى النهاية، ومقدرة الخطيب وبلاغته هي التي تُحدد طابع هذا التمهيد ونوعه، ولكن التمهيد يكون في أغلب الأحيان مقياسًا أو سببًا أساسيًا لمدى نجاح الخطبة أو فشلها، والنّبيّ - ﷺ - بدأ خطبته بهذا التمهيد الموجز المركز الذي يملأ السامعين اقتناعًا وتسليمًا، فهو يذكرهم في صورة سؤال: «ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟» .

فهي حقائق مسلمة يذكرهم بها الرسول - ﷺ - ليلفت نظرهم مقدمًا إلى أنهم مهما كان فضلهم فإن فضله عليهم أعظم وأسبق.

بهذا التمهيد قد بدأت النظر للموضوع نظرة تختلف عن نظرتها قبله، وبهذا يكون قد غيّر مجرى تفكيرهم وفي جذبهم إلى موضوع الخطبة بعقل مقنع مقدمًا، وبدون هذا لاتمهيد يصعب الوصول إلى إقناع بعض السامعين.

٢ - وحتى يقتلع النّبيّ - ﷺ - كل جذور الفتنة فقد صورهم في صورة الخصم الذي يدافع عن حقه، ولحكمة الرسول - ﷺ - البالغة السمو تجعله ينوب عنهم في الخصومة مدافعًا عنهم، وعارضًا وجهة نظرهم كاملة قال: «ألا تُجيبوني يا معشر الأنصار؟».

ولكنهم أبو أن يقفوا مع الرسول - ﷺ - موقف الخصم، وإذا كل ردهم: « بماذا نُجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل» .

والرسول - ﷺ - يعلم أن هذه إجابة الإيمان.

ثم يبقى ما يزيل ما في النفس؛ ولذلك ناب هو عنهم بأبلغ ما كان يمكن أن يتمثلوا به هم، ولنا أن نتصور الأنصار قد أخذت منهم الدهشة، وبلغ منهم الذهول، فهم لو وقفوا من الرسول - ﷺ - موقف الخصومة، فلن يأتوا بمثل هذه الحجج وهناك أمر يأخذ على قلوبهم وعقولهم كل أقطارها إعجابًا بخُلُق الرسول - ﷺ - وحبًا له.

ومن الواضح أن النّبيّ - ﷺ - بهذه العناصر قد جعل نفوس الأنصار وقلوبهم في أقصى حالات التهيؤ والانشراح لكل ما يقول، فقد ذهب كل ما فيها من وجدة.

٣ - وتأتي بعد ذلك مناقشة الموضوع الأساسي للخطبة، وقد أصبحت نفوسهم بالعنصر السابق مستعدة كل الاستعداد لكل ما يقوله الرسول - ﷺ -:

غضب الأنصار؛ لقلة نصيبهم من الغنائم، وقد شبّه النّبيُّ - ﷺ - هذا الجانب بصورة أدبية تُجسده في النفوس، حيثُ شبَّه كل هذه الغنائم من النبات الصغير وهو اللُّعاعة - بضم اللام - مشيرًا إلى أن متاع الدنيا كله تافه.

ثم بيّن الحكمة من إيثار بعض القبائل.

ثم يحسم هذا المعنى بأسلوب لا تعرف الخطابة أشد منه وقعًا في النفوس وأبلغ منه تغلغلاً في المشاعر، حيث يقول في صورة السؤال الذي يجسد هذا المعنى في نفوسهم: **«ألا ترضون - يا معشر الأنصار - أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم»**.

وبهذا تكون الخطبة قد قلبت كيان تفكير الأنصار.

ثم يؤكد لهم بأكثر من صورة أنه لم يغير رأيه فيهم، بل يكشف لهم عن جوانب حبه لهم؛ لعله لم يكشفها لهم قبل اليوم بهذه الصورة.

فيقول لهم: «**فوالذي نفسُ محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك النّاسُ شِعبا، وسلكت الأنصار شعبًا لسلكتُ شعْبَ الأنصار**».

فأي خيال في الأماني والأحلام راود نفوسهم أعظم من أنهم لو كانوا في طريق، والناس جميعًا في طريق آخر، فالنّبيّ - ﷺ - يترك طريق الناس جميعًا ويختار طريقهم؟!.

وتُراعي الخطبة أبعد جوانب المواقف واحتمالاته في كسب القلوب، حيث تراعي جيلاً قادمًا من الأنصار لم يوجد بعد، فيقول لهم - ﷺ -: «**اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**»؛ ولهذا كان أبلغ ما أجاب به الأنصار النّبيّ - ﷺ - هو دموعهم الغزير التي تدفقت من قلوب ملأها الحب والإيمان، وهزها الندم والتأثر، وإذا هذه الدموع تظل تنسكب حتّى تبلل اللحى. ثم يقولون: «رضينا برسول الله قَسْمًا وحظًا».

وأنت تُلاحظ - أخي في الله - أن الخطبة اشتملت على أمور، فمنها: تخصص الخطاب الأسئلة، وقد تقدّم بيان ذلك، واشتلمت - أيضًا - على التفريغ النفسي، حيث يعتمد على تفريغ نفوس المخاطبين مما يثقلها وذلك بموافقة المخاطبين في أهم ما يثير نفوسهم.

واشتملت على الشمول.

واشتملت على الإقناع فلم تترك مجالاً للتردد.

- **وتميّزت بمزايا عديدة فمنها: الإيجاز:**

فمن الواضح في الخطبة هذا الإيجاز المستوعب، فإننا لو تأملنا لوجدناها تعرض مجملاً لتاريخ الإسلام في مكة وفي المدينة، خلال حياة النّبي – ﷺ – ثم جوانب من الخلق العظيم الذي تحلّى به – ﷺ –، ومن آثاره هذا الوفاء العظيم الذي يحمله للأنصار، وكل ذلك تعرضه الخطبة واضحًا مفصلاً في هذا الإيجاز البليغ.

- **وتميزت أيضًا بتحديد العناصر:**

ومن الواضح في الخطبة تحديد عناصرها، وعدم تداخل هذه العناصر أو تكرار شيء منها، وهذا التمايز بين العناصر يُعين السامع على حسن الاستيعاب ويجعل المعاني بارزة واضحة مؤثرة.

- **وتميزت بتجسيد المعاني:**

ومن أهم ما يتميز به الطابع الأدبي للخطبة تصويرها للمعاني في قوالب تجعلها مجسدة في ذهن السامع وكأنها حينئذٍ ليست معاني فحسب، وإنما شخوص ماثلة أو مناظر محددة مرئية.

ومن ذلك حديثه عن الغنائم التي أثارت الوجدة في نفوسهم، فلم يذكرها قط حينئذ بأنها غنائم أو مال أو نحو ذلك، وإنما كان كل حديثه عنها بأنها لُعَاعة من الدنيا، والسامعون يعرفون أن اللُعاعة – بضم اللام – نبات ضعيف صغير فَتُمْحَى من أذهانهم صورة الغنائم ببريقها وإغرائها، ولا يبقى فيها إلاّ صورة هذا النّبات الضعيف الذي لا يستحق التنافس عليه.

وفي تجسيد المعاني في الخطبة المقارنة بين نصيب الأنصار وغيرهم من سائر الناس، والمقارنة حقيقة واقعية، ولكن الطريف المثير هو تصويرها، فقد صوّر النّبيّ - ﷺ - الأنصار في جانب والناس في جانب وقد أخذوا جميعًا أنصبتهم، فأما الأنصار، فكان نصيبهم شخص النّبيّ - ﷺ - نفسه، فأخذوه ورجعوا به إلى رحالهم.

وأما أنصبة الناس فكانت شياهًا وبعرانًا، وهذا يعود إلى رحله بشاة، وذلك يعود ببعير، ولنتأمل أي روعة بيانية، وأي تأثير عاطفي تُثير هذه المقارنة في نفوس الأنصار حين يتصورون مجرد تصور هذه المقابلة بين نصيبهم العظيم، وتفاهة أيّ نصيب آخر مهما عظم.

ومن تجسيد المعاني تعبيره - ﷺ - عن ميله للأنصار، وإيثاره لصحبتهم على صحبة سائر الناس.

فقد جسدت الخطبة صورة أخرى من صور المقارنة بين الأنصار وغيرهم، افتراضًا، فالأنصار وحدهم في طريق، والناس جميعًا يسلكون طريقًا آخر، وإذا النّبيّ - ﷺ - يُؤثر طريق الأنصار على كل طريق، وهذه مقابلة أخرى ترتسم مجسمة في نفوس الأنصار، حين يتمثلون أنفسهم في طريق خاص بهم، وقد انحاز إليهم النّبي - ﷺ -، والناس جميعًا يتمنون ما حظى به الأنصار.

■ **والخطبة مليئة بالأساليب البلاغية والصور الفنية الرائعة:**

لاحظ الاستفهام في «أَلمْ آتِكُم ضُلالاً ...» وغرضه التقريري. ولاحظ التوافق الموسيقي في تقسيم الجمل، وما فيها من مقابلات «ألم آتكم ضُلالاً فَهَدَاكُم الله، وعالةً فأغناكم الله... إلخ».

وكيف أسند الهداية والغنى وتآلف القلوب إلى الله، مع أنه يبين موقفه منهم: إنه يشير بها **إلى ذلك فضل الله**، وأنه بشر مثلهم، ولكنه يتصرف بإلهام منه، واستهداف لرضاه.

وفي الخطبة من أساليب التأكيد اللازمة للإقناع مثل: «**أما والله . فوالّذي نفسُ محمد بيده . . .**»

وفي التعبير بلفظ «معشر» في «**يا معشر الأنصار**» استمالة لهم وإشعار لأنهم معشره وهو منهم .

وفي «**والذي نفسي بيده**» كناية عن الله .

أهمية علم البلاغة

أي أخي، قد قيل: «أن الافتنان في التعبير لا يتوقف على دروس قواعد البلاغة، وإنما يصبح المرء كاتبًا مجيدًا، أو مؤلفًا مستجيدًا، أو شاعرًا مطبوعًا، أو خطيبًا مصقعًا، وذلك بكثرة القراءة في كتب الأدب وحفظ آثار العرب، وبنقد الشعر وتفهمه، ودراسة النقد الفني وتذوق أسراره»(١).

فإذا كان الأمر كذلك فما فائدة هذه الرسالة؟

وما من شك – أخي – أن فائدتها تكمن في الإلمام بقواعد هذا الفن بحيث تنطلق من قواعد راسخة وأسس ثابتة لا تقدح في نفسك شكًا.

ألا ترى أن الكوفيين حين اعتمدوا القياس في مذهبهم كثر لديهم الخطأ، ولما اعتمد البصريون على قواعد قلّ الخطأ لديهم.

فلا تقعد بك همتك عن إدراك قواعد هذا العلم مهما أوتيت من البلاغة؛ فإن أكثر البلغاء كما يقول الرازي في كتابه «نهاية الإيجاز»: «لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة»(٢)، فإذا كان الأمر كذلك فكيف بمن دونهم.

---

(١) انظر «البلاغة الواضحة» (ص١٣٦) بتصرف يسير.

(٢) قال أبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتين»: «الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى، والإظهار له» اهـ، وأزيدك إيضاحًا أن الفصاحة تتضمن اللفظ دون المعنى والبلاغة تتناول المعنى ألا ترى أن الببغاء يسمّى فصيحًا ولا يُسمى بليغًا؛ إذْ هو مُقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه، وقد يجوز مع هذا أن يُسمَّى الكلام الواحد فصيحًا بليغًا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الإسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقديم الحروف»، وانظر في ذلك جواهر البلاغة (ص٨).

واعلم – أخي – أن ما عقد أئمة البيان الفصول، ولا بوَّبوا الأبواب، إلاّ بغية أن يُوفقُوا المسترشد على تحقيقات وملاحظات وضوابط، إذا رُوعيتْ في خطابه أو كتابه بلغت الحدَّ المطلوب من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السَّامع واتَّصفت مِنْ ثمَّ بصفة الفصاحة والبلاغة » (١).

واعلم – أخي – أن إلمامك بعلوم البلاغة يُحقق لك هدف لم تكن تطمح إليه نفسك من تذوق القرآن الكريم ومعرفة أسرار هذه المعجزة الخالدة وتذوق سُنّة من أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح من نطق بالضاد، مع التمييز بين الفصيح والأفصح والبليغ والأبلغ من الكلام.

ومن درر أبي هلال العسكري (٢) **قوله:** « إن صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه وفرّط في التماسه، ففاته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوته، عفى على جميع محاسنه، وعمى سائر فضائله؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد وكلام رديء، ولفظ حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد، بان جهله وظهر نقصه، وهو – أيضًا – إذا أراد أن يصنع قصيدة أو يُنشئ رسالة – وقد فاته هذا العلم – مزج الصفو .. بالكدر واستعمل الوحشيّ العَكِر، فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل .. وإذا أراد – أيضًا – تصنيف كلام منثور، أوتأليف شعر منظوم، وتخطى هذا العلم، ساء اختياره له، وقبحت آثاره فيه، فأخذ المرذول وترك الجيد المقبول، فدلّ على قصور فهمه، وتأخر معرفته وعلمه » (٣).

---

(١) « جواهر البلاغة » (ص٩).

(٢) أبو هلال العسكري المتوفي سنة (٣٩٥هـ) إمام من أئمة البلاغة وهو – أيضًا – معتزلي، فقد استهلّ كتابه « الصناعتين » (ص٢) بقوله: « فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم، بعد توحيد الله – تعالى – ومعرفة عدله، والتصديق بوعده ووعيده.. » فهذه ثلاثة من أصول المعتزلة. وقد وقع في التأويل كما في كتابه (ص٣٣٧). ومع أن المآخذ العقيدية عليه أقل من غيره، لكن لابد من التنبيه إليها. انظر « بلاغة أهل السُّنّة » (ص٤٠) بتصرف.

(٣) كتاب « الصناعتين » (ص٢، ٣).

طرق تحصيل البلاغة

أي أخي، لاشكّ أن المرء بفطرته مُحبًا لكتب البلغاء، مغرمًا باقتنائها وقراءتها، تقف بها نفسه أمام القطع الأدبية وقوف العاشق الواله الذي أضناه العشق بل وأرقه، لكن الهوى صاد والصوارف بالمرصاد فلا يشغلك عن الأدب شاغل حتى تتوقح نفسك وتكون أقدر على التعبير البليغ والأسلوب الساحر(١).

وحذاري حذاري أن تقلد غيرك في أسلوبه، بل انطلق على سجيتك مُتخيلاً من تُخاطبه أو تكتب إليه أنه أمامك تُناجيه؛ حتى ينساب كلامك إلى قلبه كالسيل إلى الحدوره. ومتى حاكيت أسلوب غيرك في خطابك كان كلامك جافًا باردًا مهلهلاً ليست له مسكة ولا قوام(٢).

بل يجب أن تسطع شخصيتك المستقلة على الورق سطوع الشمس في رابعة النهار، وكأنك تبعث لمن تكتب له صورةً حقيقة لك لا لغيرك (٣) وهنا يكمن الإبداع هنا يكمن الإبداع!.

---

(١) من طريف ما يُذكر أن أبا هلال العسكري – رحمه الله – قال في كتابه «الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه» (ص٧٢) : «حُكيَ لي عن بعض المشايخ أنه قال: «رأيتُ في بعض قرى النَّبْط فتىً فصيح اللهجة، حسن البيان، فسألته عن سبب فصاحته مع لَكَنة أهل جلدته، فقال: «كنت أعمد في كُلِّ يومٍ إلى خمسين ورقةً من كتب الجاحظ فأرفع بها صوتي في قراءتها، فما مرَّ بي إلاّ زمانٌ حتَّى صرتُ إلى ما ترى».

(٢) لكن هذا لا يمنع أن تضمن كلامك نثراً أو شعراً أو مثالاً تجعله بين قوسين كدليل على أنه مقتبس من غيرك مع ذكر المصدر إن وُجِدَ، فإنّ ذلك يزيد كلامك وضوحًا وإشراقًا، وقد قيل قديمًا «اختيار المرء قطعة من عقله يدل على تخلفه وفضله».

(٣) قد تقرأ كلامًا لابن القيم أو ابن تيمية أو للجاحظ أو لغيرهم في كتاب دون أن يذكر المؤلف لمن هذا الكلام، لكنك تلمح شخصية أيّ منهم من خلال أسلوبه، ألا يدل على أن كل واحد له أسلوبه المميز فلا تقعد بك همّتك عن طلب المعالي أو ترضى بالدون.

علوم البلاغة

علوم البلاغة ثلاثة هي :

المعاني ثُمَّ البيان، ثُمَّ البديع.

فعلم المعاني: هو علم يُعرف به مطابقة الكلام لحال السامعين (١) والمواطن التي يُقال فيها، بمعنى أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من العلم (٢).

---

(١) يكون مطابقًا للحال حيث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والقصر والإيجاز والإطناب.

(٢) الأديب – حقًا – من خاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم، فلكل مقام مقال، ومن طريف ما يُذكر أن بعضهم قال لبشار بن بُرْدٍ: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت. قال: وما ذاك؟ قال: بينما تُثير النَقْعَ وتَخْلَعَ القلوب بقولك:

إذا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هتكنا حجابَ الشَّمْسِ أو تَمْطِر الدَّما
إذا ما أَعَرْنَا سَيِّداً مِنْ قَبِيلَةٍ ... ذُرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وسَلَّمَا

نراك تقول:

رَبَابَةُ رَبَّة البَيْتِ ... تَصُبُّ الخَلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجَاجَاتٍ ... وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال بشار: لكلٍّ وَجْهٌ وموضع؛ فالقول الأول جِدٌّ، والثاني قلتُهُ في رَبَابَة جاريتي، وأنا لا آكل البَيْض من السوق، ورَبابة لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض، فهذا القول عندها أَحْسن من «قِفا نبك مِنْ ذكرى حبيبٍ ومنزلي» عندك. انظر «الأغاني» (٣ / ٦٠).

ويروى أنَ الكندي – فيلسوف العرب – ركب إلى أبي العباس المبرد – شيخ أهل النحو والعربية – وقال له: «إني لأجد في كلام العرب حشواً!». فقال أبو العباس: أين وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون: «عبدُ الله قائم» ثم يقولون: «إن عبدَ الله قائم»، ثم يقولون: «إن عبدَ الله لقائم» فالألفاظ مكرَّرة والمعنى وحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة؛ فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث ردٌّ على منكرٍ. فقد اختلفت الألفاظ لاختلاف المعاني. فسكت الكندي.

ويريك أن الكلام لا يكون بليغًا حتى يُناسب المقام الذي قيل فيه، ويُناسب حال السامع الذي أُلقي عليه.

فمثلاً حال المخاطب الذكي يقتضي الاختصار، وحال العنيد أو البليد يقتضي التطويل، كما قيل:

تكفي اللبيبَ إشارةٌ مرموزةٌ وسواه يُدعى بالنداء العالي

ولهذا لما خاطب القرآن العرب أوجز، ولما خاطب اليهود أطنب، فأعجز.

ومتى خاطبنا الناس على قدر عقولهم، نكون قد وفّقنا للصواب في علم المعاني. ترى الخياط يأخذ أولاً قياس الجسم، ثُمَّ يقصّ ويخيط على حسب القياس، وكذلك البناء تسبقه عملية الرسم الهندسي في خارطة صحيحة؛ لهذا قدمنا علم المعاني في الدراسة على علم البيان، كما يسبق الرسم الهندسي عمل البنيان، وكما يسبق القياس والرسم والقصّ والخياطة. ثمّ...

علم البيان: وهو علم يبحث عن شكل الألفاظ من حيثُ تبينُها للمعاني، هل هي في صيغة الحقيقة المجردة، أو التشبيه، أو المجاز، أو الكناية، كما نرى شكل الخياطة، فنعرف نوعها من ثوب، أو جُبَّة، أو قباء، أو معْطَف. ثمّ ...

علم البديع: وهو علم يرجع إلى تحسين اللفظ وتزيينه، كوضع أزرار، وورود وزخارف لتزيين ثوب العروس بعد تمام خياطته وكنقوش الدهان بعد تمام البنيان، ورتبته التأخير عن الجميع(١).

---

(١) انظر «تيسير البلاغة» لأحمد قلاش (ص١٤، ١٥) بتصرف يسير.

علم المعاني

أقسام الكلام

الكلام قسمان:

اعلم – أخي – أن الكلام قسام:

القسم الأول – خبر.

والقسم الثاني – إنشاء.

١ – **الخبرُ:** ما يصحُّ أن يقالُ لقائله إنه صادق فيه أو كاذبٌ، فإن كان الكلامُ مطابقًا للواقع كان قائله صادقًا. وإن كان غيرُ مُطابقٍ له كان قائلُهُ كاذبًا (١)، فإذا قال لك أخوك: «السفرُ يسفرُ عن أدب الناس» فهذا خبر يمكن أن تُنازعه فيه بنفيه كلاً أو بعضًا.

٢ – **إنشاء:** وهو ما لا يصح أن يُقالَ لقائله إنه صادقٌ فيه أو كاذبٌ، فإذا قال الأب لولده: «اطلب العلم» أو «هل أنت مسافر»، فهل تستطيع هنا أن تقول إنَّه صادق أو كاذب ذلك محال. فلا تستطيع أن تقول لمن أمرك بشيء أو استفهم عن شيء، أو نهى عن شيء، أو نادى أحداً هذا صدق أو كذب؛ لأن الصدق والكذب إنما يوصف بهما الشيء الذي ادعينا وقوعه والحكم الذي أثبته لشيء ما.

---

(١) أكثر علماء البلاغة على أن الخبر هو الإعلام كما يقول ابن فارس في كتابه «الصاحبي» (ص١٧٩)، ومتى أُلقيت عليك كلا ما أنت تجهله بقصد إعلامك فهو خبر يحتمل الصدق والكذب. وقد وضع علماء البلاغة قيدً في تعريف الخبر، فقالوا: «الخبر هو ما يحتملُ الصدق والكذب لذاته» فالقيد «لذاته» أي بقطع النظر عن خصوص المخبر، أو خصوص الخبر وإنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله، فخرج بذلك الإخبار عن الله في كتابه، وما صحّ من سنة رسول الله – ﷺ – وغير ذلك من الأخبار الواجبات الصدق، والبديهيات المألوفة، نحو «السماء فوقنا» وخرج بذلك الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين كأخبار في دعوى النبوة وأخبار الكهانة والعرافين، والأخبار المقطوع بكذبها، نحو الشهر خمسة وعشرون يومًا، وماء البحر حلو.

ركنا الجملة

واعلم – أخي – أنّ لكل جملة من جُمَل الخبر والإنشاء رُكنان: **مُسنَد** (١)، **ومُسند إليه** (٢)، وهما (عمدة الكلام).

ومثاله: «جاء عبد الله» فالمسند «جاء»، والمسند إليه: «عبد الله»، وتقول: «عبد الله مسافر» فالمسند «مسافر»، والمسند إليه «عبد الله» فتبيّن لك أنّ كل فعلٍ مسندٌ.

---

(١) المسند: ويُسمى المحكوم به ويكون مفردًا؛ لكونه غير سببيّ، ولم يقصد به تقوية الحكم نحو «عبد الله مسافر»، فأما السبب نحو «عبد الله أبوه منطلق».

ومواضع المسند ستة:

١ – خبر المبتدأ: نحو «مسافر» من قولك «عبد الله مسافر».

٢ – الفعل التام: نحو «جاء» من قولك: «جاء عبد الله».

٣ – اسم الفعل: نحو «هيهات».

٤ – أخبار النواسخ: (كان وأخواتها) و(إنّا وأخواتها).

٥ – المفعول الثاني (لظنّ وأخواتها).

٦ – المفعول الثالث (لأرى وأخواتها).

(٢) المسند إليه: ويُسمى (المحكوم عليه) أو المتحدث عنه، وله ستة مواضع:

١ – الفاعل للفعل التام.

٢ – أسماء النواسخ كان وأخواتها، وإنّ وأخواتها.

٣ – المبتدأ الذي له خبر.

٤ – المفعول الأول (لِظنَّ وأخواتها).

٥ – المفعول الثاني (لأرى وأخواتها).

٦ – نائب الفاعل.

وكل فاعل مسند إليه، ومثل نائب الفاعل، فهو (مسند إليه) : « قُضي الأمر »، ومثال المبتدأ اسم كان « كان عبد الله عاقلاً ».

واسم إنّ « إن عبدَ الله عاقل » وهكذا.

وما سوى المسند والمسند إليه فهو قيد[١] غير صلة الموصول والمضاف إليه.

ولا يفي إهمال القيد – دائمًا – فقد يتوقف عليه صحة الكلام كقوله تعالى: ﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾ [النساء: ٤٣] ، علمًا بأن جملة « وأنتم سكارى » حالية وهي قيد.

---

(١) علماء النحو يسمون هذه فضلات، وهي المفاعيل الخمسة – المفعول به والمفعول فيه، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والتوابع وهي: النعت، التوكيد، عطف البيان، عطف النسق، البدل – ، الحال والتميز، والنفي، وأدوات الاستفهام، والأفعال الناسخة، وكلها قيود؛ لأنها زيادة على ركن الجملة.

أقسام الخبر

أخي لا شك أن الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار والمتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض الذي يُشخّص حالته ويُعطيه ما يُناسبها، فقد يكون لك أخ حصل التعارف بينكما بالمراسلة، ولم يسبق لكما التعارف شخصيًا، فتقدم عليه يومًا فسألك «من الأخ؟» تقول له:

١ - «أنا عبد الله»

(ويُسمى هذا الضرب ابتدائيًا) [١].

فإذا تردد الأخ قلت:

٢ - «إني عبد الله»

(ويُسمّى هذا الضرب طلبيًا) [٢].

فإذا أنكر أن تكون أنت عبد الله وغضب، قلت:

٣ - «والله إني لعبد الله».

(ويُسمى هذا الضرب إنكاريًا) [٣].

ومثال ذلك: قول الله - سبحانه وتعالى: **﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ**

---

(١) في هذه الحالة لا يذكر له بالكلام؛ لأنه خالي الذهن من الحُكم فهو ابتدائي.

(٢) في هذه الحالة يحسن تأكيد الكلام؛ لأن الأخ مترددًا كأنه يطلب التأكيد؛ ليتمكن في نفسه.

(٣) في هذه الحالة يكون الأخ قد أنكر الكلام، وأنكر أن تكون أنت عبد الله معتقدًا خلافه، فتحتاج أن تؤكد له بكل ألفاظ التأكيد.

جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) ﴾ [يس: ١٣ – ١٥].

ففي هذه الآيات الكريمة يبدو التأكيد بأروع صورة وأنصع بيان للخبر، فقد قال أولاً: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ ، فاورد الكلام (ابتدائي) الخبر.

ثم قال: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ فأكده بمؤكدين وهو (إنّ) و (إسمية الجملة)، فاورد الكلام (طلبيًا) .

ثم قال: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ فترقى في التأكيد بثلاثة وهي: (إنَّ) و(اللام) و(إسمية الجملة). فاورد الكلام (إنكاري الخبر) جوابًا على إنكارهم.

قيل وفي قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴾ تأكيد رابع وهو إجراء الكلام مجرى القسم في التأكيد به [1] .

---

(١) انظر «إعراب القرآن وبيانه» لمحيي الدين درويش – رحمه الله – (٦/ ٣١٥) .

ألفاظ التوكيد

ألفاظ التوكيد هي :

إنّ، ولام الإبتداء، وضمير الفصل، والقَسَم، وأمّا الشرطية، وحرفا التنبيه (ألا وأما) والحروف الزائدة (أن، ما، من ، الباء) وقد (التي هي للتحقيق) والسين، وسوف (الداخلتان على فعل دال على الوعد والوعيد) ونون التوكيد، وتكرير النفي، وإنّما.

وفيما يأتي بيان ذلك :

١ - إنَّ : (١) كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحج : ٦٥].

---

(١) إنَّ (المكسورة الهمزة المشدودة النون) هي الأصل في التوكيد تنصب الاسم وترفع الخبر، ولها فوائد وخصائص ومحاسن لا يدركها إلاّ الواحد بعد الواحد، فمن فوائدها على سبيل المثال : أنها تربط الجملة بحيث لو سقطت لذهب رونق النظم وأصبح الكلام مفككًا لا ميزة له، ولا روح فيه، وهذا في التنزيل كثير فمنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) ﴾ [الحج : ١]، فلو أنك أسقطت (إنَّ) فقيل مثلاً : « يا أيها الناس اتقوا ربكم زلزلة الساعة شيء عظيم » فيذهب حسن الكلام ورونقه.

وقد ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه « الدلائل » (ص٢٧٣) وقفة لطيفة يحسن إيرادها هنا « روي عن الأصمعي أنه قال : كنتُ أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر وكانوا يأتون بشارًا، فيُسلّمون عليه بغاية الإعظام، ثم يقولون : يا أبا معاذ، ما أحدثت؟ فيخبرهم ويُنشدهم ويسألونه ويكتبون عنه، متواضعين له، حتّى يأتي وقت الزوال، ثمّ ينصرفون، وآتوه يومًا، فقالوا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة؟ قال : هي التي بلغتكم. قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب، قال : نعم، بلغني أنّ سالم بن قتيبة يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليها ما لا يعرف قالوا : فانشدنا يا أبا معاذ. فانشدهم

بَكِّرا صـاحـبيَّ قـبلَ الهَـجِـيـرِ   إنَّ ذاكَ النَّجَـاحَ في التَّـبْكِيـرِ

٢ - **لام الابتداء**: كقوله تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ١٣]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٣ - **القسم**: كقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

٤ - **ضمير الفصل** (١): كقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥] ونحو: «إنما الكرم هو التقوى».

= حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان «إنّ ذاك النجاح في التبكير»: بكر؛ فالنجاح في التبكير، كان أحسن. فقال بشار: أنا بنيتها أعرابية وحشية؛ فقلتُ: «إنَّ ذاك النجاح في التبكير» كما تقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرًا فالنجاح» كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك في معنى القصيدة. قال: فقام خلف الأحمر، فقبّل بين عينيه».

وقد يلحق بعض العلماء بـ«إنّ»: (لأنّ) (مفتوحة الهمزة) وهذا كثير في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]، ومعنى التأكيد في (أنَّ) مفتوحة الهمزة أنك حينما تقول: علمتُ أن المستضعفين لا يستحقون الكرامة، فإنّ (أنَّ) وما بعدها تؤول بمصدر مفعول به، أي عملتُ عدم استحقاق المستضعفين للكرامة، فالعبارة الأولى أبلغ من العبارة الثانية، وننطق بها عندما يكون هناك شك أو إنكار، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا ﴾ [الحجرات: ٥]، وهو أبلغ من أن يقال: ولو تم صبرهم أو ثبت. انظر المرجع السابق (١ / ١١٧).

على كلٍّ فإنّ (أنَّ) لها محاسن عزيزة، فمن محاسنها - أيضًا - أنك تجد لضمير الشأن معها رونقاً وطلاوة يكسوان اللفظ دقة وقوة يزيدان في المعنى، ومن هذا كثير في التنزيل كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه: ٧٤]، ومتى أسقطنا إنه فسوف يخلو الكلام من هذا الرونق ومن تلك الدقة. انظر «بلاغتنا» (١ / ١٤٤).

(١) أخي قد علمت أن الضمائر هي أسماء وهي من أنواع المعارف، لكن ضمير الفصل ليس اسمًا وإنما هو حرف في المشهور عند النحويين وسُمي ضمير الفصل؛ لأنه جاء يفصل بين المبتدأ والخبر، وهو ضمير يُفيد التأكيد، ومن فوائده: أن يأتي لاختصاص، وأن ما بعده يكون خبرًا لا صفة، فلو أنك قلت: وأولئك المفلحون، جاز أن تكون هذه الكلمة «المفلحون» صفة لا خبرًا، لكن بمجيء ضمير الفصل لا يجوز إعرابها صفة؛ لأن الخبر عمدة في الكلام. انظر «بلاغتنا» (١ / ١١٩)

٥ - أمَّا الشرطية(١): كقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ**﴾ [الضحى: ٩].

٦ - حرفا التنبيه (ألا وأما): فالأول كقوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ**﴾ [البقرة: ١٣].

ومثال أما، نحو:

أما والذي أبكي وأضحك والذي   أماتَ وأَحْيا والذي أمْرُهُ الأمْرُ

٧ - الحروف الزائدة(٢)، **وهي (إنّ، أن، ما، من، الباء)**:

(أ) **إن**: فتأتي بعد (ما) النافيه نحو:

ما إنْ جزِعتُ ولا هلعتُ   ولا يرُدُّ بكايَ زَنْدا

(ب) **أن**: كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ**﴾ [يوسف: ٩٦](٣).

(جـ) **ما**: كقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا**﴾ [يوسف: ١٧]، ونحو «ما أنت بالمنصف في قولك».

---

(١) أي قد تكون عازمًا على السفر فقلت لزوجتك: أنا عازم على السفر، فإذا أحسست منها شكًا وترددًا فيما قلت، فإنَّك تُؤكد لها هذا الخبر بقولك: أمّا أنا فعازم على السفر.

واعلم أن (أمَّا) لها ضابط فهي مفتوحة الألف مشدّدة الميم، وهي هنا حرف شرط وتفصيل يُفيد التوكيد خلافًا (إمَّا) بالكسر فهي ليست من أدوات التوكيد.

وهنا فائدة ذكرها الزمخشري ونقلها عن طبانة في كتابه «معجم البلاغة العربية» (ص٤٩)، وقال: فائدة (أمّا) في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: «زيد ذاهب» فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة، قلت: «أمّا زيدٌ فذاهبٌ».

(٢) الحروف التي سموها زوائد لها معان وهي (من) الاستغراقية، والباء الواقعة في خبر ليس، و(إن) - بكسر الهمزة - الواقعة بعد النفي، و(أن) - بفتح الهمزة - الواقعة بعد لما الظرفية، وما. انظر «بلاغتنا» (١ / ١٢٠).

(٣) تنبيه مهم: الحروف الزائدة إذا كانت في كتاب الله، لا تسمَّى زوائد بل حروف توكيد.

وذلك تأدبًا مع كتاب الله وهي مع ذلك حروف توكيد في الأصل، وإنّما سُمّيت زوائد لاصطلاحٍ اصطلح عليه علماء النحو.

(د) من: نحو «ما جاءني من أحد».

(هـ) الباء: كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

٨ - **قد**: كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٩ - **السين و(سوف)**: أما السين نحو قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وأما سوف: فكقوله تعالى: ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢].

١٠ - **نونا التوكيد**:[1] فقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

١١ - **تكرار النفي**: كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤][2].

١٢ - **إنما**: كقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) أُحبُّ أن أُنبهك هنا إلى فائدة، وهي أنّ نون التوكيد الثقيلة تُثبت في حالة الوقف وحالة الفصل، أما نون التوكيد الخفيفة فتثبت في حال الوصل فقط، أما في حال الوقف، فإننا لا نقف عليها كما نقف على نون التوكيد الثقيلة، وإنما نقلبها ألفًا فإذا أردت أن أقف على قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ فإني أقول «لنسفعًا»، وإذا أردت أن نقف على قولك: «لأفعلن» بتسكين النون، تقول: «لأفعلا» وكذلك قولك لصاحبك «لتشربنْ»؛ تقول: «لتشربا». انظر «بلاغتنا» (١/١٢٣).

(٢) التكرار يكون لنكتة بلاغية كتأكيد الإنذار كما في المثال، وفي «ثمَّ» دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول تنزيلاً لبعد المرتبة لبعد الزمان.

أغراض الخبر

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

١ - إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة: ويُسمّى ذلك الحكم (فائدة الخبر) .

أو بتعبير أصحّ إفهام المخاطب أمر يجهله بقصد إعلامه أو تعريفه به نحو : « العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسُنَّة ماضية ، ولا أدري »[(١)] .

فمثل هذا قد قصد به إفادة من يلقى إليه بمضمونه .

٢ - إفادةُ المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكْم: ويُسمَّى ذلك (لازم الفائدة) .

مثال ذلك : إذا كان لك ثلاث نساء فكسيت اثنتين إلاّ واحدة ، فقالت لك الثالثة : كسيتَ نساءَك إلاّ أنا .

فزوجتك الثالثة لا تقصد أن تفيدك فائدة ، بل إنك تعلمها من نفسك قبل أن تعلمها هي .

وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى تُفهم من السياق مثل:

١ - الاسترحام : كقوله تعالى : ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [القصص : ٢٤] .

٢ - إظهار الضعف : كقوله تعالى : ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي** ﴾ [مريم : ٤] .

---

(١) « عيون الأخبار » (٥ / ١٣٠) من قول عبد الله بن عمر .

٣ – إظهار التحسر: كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ [آل عمران: ٣٦].

٤ – التعريض: كقوله تعالى: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣][1].

٥ – الفخر: كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨].

٦ – تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

٧ – إظهار السرور: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء: ٨١].

---

(١) أي يعرض به أنه لا يصلح إلهًا.

الإنشـاء

أي أخي، قد سبق أن الإنشاء ما لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا فجدد به عهدًا، وهو قسمان:

١ - طلبي:

وهو الذي يستدعي مطلوبًا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، وينقسم إلى ستة أقسام:

١ - **الأمر**: كقوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة: ١١٠].

٢ - **النهي**: كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٣٢].

٣ - **الاستفهام**: كقوله تعالى: ﴿ **أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ** ﴾ [النمل: ٦٠].

٤ - **التمني**: كقوله تعالى: ﴿ **يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** ﴾ [الفجر: ٢٤].

٥ - **الترجي**: كقوله تعالى: ﴿ **أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا** ﴾ [يوسف: ٢١].

٦ - **النداء**: كقوله تعالى: ﴿ **يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ** ﴾ [الزمر: ١٦].

٢ - غير الطلبي:

هو الذي لا يستدعي أمرًا حاصلاً وقت الطلب وينقسم إلى ستة أقسام:

١ - **التعجب** (١): كقوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٨].

---

(١) التعجب يكون قياسًا بصيغتين «ما أفعله» و«أفعل به».

٢ - المدح: كقوله تعالى: ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠].

٣ - الذم [١]: كقوله تعالى: ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ [الحجرات: ١١].

٤ - القسم [٢]: ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧].

٥ - صيغ العقود [٣]: كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٦ - الرجاء [٤]: كقوله تعالى: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ [المائدة: ٥٢].

---

(١) المدح والذم يكونان بـ(نعم وبئس) وما جرى مجراهما نحو (حبذا ولا حبذا)، والأفعال المحوّلة إلى فَعُلَ نحو «طاب محمد نفسًا»، و«خَبُثَ فلانٌ أصلاً».

(٢) القَسَم يكون بالواو، والباء، والتاء، وبغيرها.

(٣) صيغ العقود تكون بالماضي كثيرًا نحو بعتُ، واشتريتُ، وأعتقتُ، وتكون بغير الماضي قليلاً نحو «أنا بائع».

(٤) الرجاء يكون بـ«عسى» و«حرى» و«اخلولق».

الأمـــر

الأمر عند العرب هو ما إذا لم يفعله المأمور به سُمي المأمور به عاصيًا، وهو عند علماء البلاغة الطلب الجازم للفعل على وجه الاستعلاء [١] ممن هو دون الأمر.

ولـه أربـع صيـغ :

١ - **فعل الأمر**: كقوله تعالى: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ [مريم : ١٢].

٢ - **المضارع المجزوم بلام الأمر**: كقوله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ** ﴾ [الطلاق : ٧].

٣ - **اسم فعل الأمر** [٢] : كقوله تعالى: ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [المائدة : ١٠٥].

٤ - **المصدر النائب عن فعله**: ﴿ **فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾ [محمد : ٤].

---

(١) المراد بالاستعلاء هنا عَدُّ الآمر نفسه عاليًا سواء كان عاليًا في نفسه أم لا؛ ولهذا يُنسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عاليًا (أي لا يصلح أن يُخاطب من ليس بعالٍ من هو فوقه أو أعلى منه بالمنزلة مستخدمًا صيغ الأمر وإلاّ نُسِبَ إلى سوء الأدب).
لهذا جعلوا الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماسًا مع النظير.
وعليه لا يصلح استعمال صيغ الأمر في الأسلوب الخطابي إلاّ إذا كان من عالم له مكانته أو من والي أمر له كلماته، فالناس ينفرون من هذا الأسلوب؛ فمن الحكمة استخدام الترغيب والترهيب والالتماس والدعاء والأسلوب الحكيم وغير ذلك من الأساليب البلاغية.

(٢) اسم فعل الأمر، منه ما هو سماعي؛ مثل: (ق) ، (ص) ، (آمين) ، ومنه ما هو قياسي وهو على صيغة (فعال) من الفعل الثلاثي ، مثل: « دَراكِ » بمعنى أدرك، و« نَزالِ » بمعنى انزل.

خروج صيغ الأمر عن معناها:

أي أخي، اعلم أن صيغ الأمر قد تخرج عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال مثل:

١ - **الدعاء:** لقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

٢ - **الالتماس:** كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٣ - **الإرشاد:** كقوله تعالى: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤ - **التهديد:** كقوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

٥ - **التعجيز:** كقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣].

٦ - **الإباحة:** كقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٧ - **التسوية:** كقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ [الطور: ١٦].

٨ - **الإكرام:** كقوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

٩ - **الامتنان:** كقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [النحل: ٤٦].

١٠ - **الندب** (١): كقوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣].

١١ - **الإهانة:** كقوله تعالى: ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٥].

---

(١) الندب: هو طلب لا على سبيل الجزم.

١٢ - الدوام: كقوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة: ٦].

١٣ - التمني: كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

١٤ - الاعتبار: كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

١٥ - التخيير: كقول رسول الله - ﷺ -: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

١٦ - التأديب: كقول رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكلْ بيمينك وكل مما يليك**».

١٧ - التعجب: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ** ﴾ [الإسراء: ٤٨] [١].

---

(١) هنا فائدة: وهي أن هذه الصيغ قد يتداخل بعضها في بعضها الآخر. ثانيًا - هذه الصيغ ليست على سبيل الحصر، فهناك صيغ كثيرة يُمكن أن تُستفاد من السياق كالتلهف، والتحسر، والتكوين، والتفويض، والتكذيب، والمشورة، والتسخير، والتسليم.
وكتب أصول الفقه اشتملت على كثير من هذه الأغراض. انظر «بلاغتنا» (١/ ١٥٧).

النهي

هو الطلب الجازم لترك الفعل على وجه الاستعلاء[١]، وله صيغة واحدة، وهي: المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

واعلم - أخي - أن هذه الصيغة قد تخرج عن أصل معناها إلى معانٍ أُخر تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال مثال:

١ - الدعاء: كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ - الالتماس: كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٣ - الإرشاد: كقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

٤ - التوبيخ: كقول أبي الأسود:

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتي مِثْلَهُ عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

٥ - التيئيس: كقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التحريم: ٧].

---

(١) النهي حقيقة التحريم - كما عليه جمهور أهل العلم - فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور، وأما الأمر فقد اختلفوا فيه، هل هو للفور أو للتراخي، وهو كالأمر فيكون استعلاء مع الأدنى، و دعاء مع الأعلى، والتماسًا مع النظير. (انظر «جواهر البلاغة» (ص٥٥).

٦ - **الائتناس** : كقوله تعالى : ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠] .

٧ - **التحقير**: كقوله تعالى : ﴿ **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ** ﴾ [الحجر : ٨٨] .

٩ - **التمني**: كقول الخنساء :

أعـينيَّ جـودا ولا تَجْـمُـدَا ألا تبكيـان لصـخـر النَّدى

الاستفهام

الاستفهام هو طلب العلم بشيءٍ مجهول لم يكن معلومًا من قبل، ويحتاج إلى جواب، وذلك بأدوات من إحدى أدواته، وهي إحدى عشرة أداة، ظرفان، وهما: (الهمزة، وهل)، وتسعة أسماء، وهي: (من، وما، ومتى، وأين، وأيّان، وكيف، وكم، وأيّ)[1].

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

١ – ما يُطلَب به التَّصور تارة والتصديق تارة، وهو (الهمزة).

٢ – ما يُطلَب به التصديق فقط وهو (هل).

٣ – ما يُطلَب به التصور فقط وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام.

---

(١) «اعلم أن هذه الأدوات تنقسم من حيث المستفهم عنه إلى أقسام ثلاثة:
(أ) منها ما يُستفهم به عن الحكم – وهو إثبات شيء لشيء، أو نفيه عنه – فتقول: هل تحب العلم؟ هل يسافر أخوك؟ هل تستيقظ الأمة؟ فأنت في هذه الأمثلة لم تستفهم عن مفرد، فلم تستفهم عن المحبة أو العلم، ولم تستفهم عن السفر أو عن أخيك، ولم تستفهم عن الاستيقاظ أو عن الأمة، وإنما كان استفهامك عن الحكم الذي هو إثبات حبك للعلم، وسفر أخيك، واستيقاظ الأمة. وهذا الذي يُعبرون عنه بالتصديق وهو إدراك النسبة بين أمرين، أي للتثبت من حصوله.
(ب) ما يُستفهم به عن مفرد، تقول مثلاً: ما البُرُّ؟ فيقال لك: القمح. وما القسورة؟ فيُقال لك: الأسد. فأنت ترى هنا أن لا حكم، فلم نُثبت شيئًا لشيء، وهذا ما يُسمونه التصور.
(جـ) ما يُستفهم به عن هذين معًا، أعني: عن القضية التي فيها إثبات حكم أو نفيه، وهو التصديق، وعن المفرد الذي هو التصور. وهذا القسم الذي يُستفهم به عن التصور والتصديق هو الهمزة. أما الذي يُستفهم به عن التصديق وحده فهو (هل)، وأما الذي يُستفهم به عن التصور وحده، فهو باقي الأدوات». انظر «بلاغتنا» (١/١٧٣ – ١٧٤)

أدوات الاستفهام :

١ - **الهمزة:** يُستفهم بها أحد أمرين التصور والتصديق، أي عن المفرد وعن الحكم.

(أ) فالتصديق : نحو :أطلعت الشمس؟ أجاء الأستاذ؟ أفهمْتَ الدَّرس؟ فأنت إنما تسأل عن الحكم، وهو إثبات حكم لشيء أو نفيه عنه.

(ب) والتصور: نحو : أعبد الله مسافر أم عبد الرحمن، فأنت هنا لم تسأل عن الحكم ولكنك لا تعرف على التعيين من يكون المسافر ويجب إثبات المعادل بعد (أم) التي هي من حروف العطف في التصور، وحكم الهمزة التي لطلب التصور، أن يليها المسؤول عنه بها[١].

٢ - **هل :** يطلب بها التصديق فقط[٢]، تقول: هل سافر عبد الله؟ ولا تقول: هل عبد الله مسافر أم عبد الرحمن؟.

---

(١) الهمزة التي لطلب التصور لابد أن يليها المسؤول عنه بها سواء أكان :
أ – مسند إليه، نحو : أأنت خطبت أم عبد الله؟.
ب – مسند، نحو : أأكرمت عبد الله أم عبد الرحمن؟.
ج – مفعولاً، نحو : أعليّاً أم محمداً؟.
د – حالاً، نحو : أراكبًا حضرت أم ماشيًا؟.
هـ – ظرفًا، نحو : أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة؟.
و – جاراً ومجروراً، نحو : أفي دار عليّ نزلت أم في دار سعيد؟.

(٢) «هل أداة استفهام، وهي لطلب (التصديق) فحسب، و تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، نحو: هل سافر إبراهيم؟ وهل إبراهيم مسافر؟. إذا كان المطلوب التصديق بثبوت السفرلإبراهيم. ولاختصاصها بطلب (التصديق) امتنع الجمع بينها وبين ما يدل على السؤال عن التصوُّر، فيمتنع أن يُقال: هل إبراهيم مسافر أم خالد؟ ؛ لأن أم هنا وقع بعدها مفرد؛ فدلَّ على كونها متصلة، والمتصلة تدل على كون السؤال عن التصور؛ لأنها لطلب تعيين أحد الشيئين حين لايعلم من وقعت منه النسبة منها بعد العلم بأصل تلك النسبة، وأما هل، فهي لطلب أصل النسبة، فمقتضاها جهل ذلك الأصل، إذ لا يسأل عن معلوم ومقتضى أم المتصلة العلم به فتنافيا، فلا يجمع بينهما في تركيب واحد» انظر «معجم البلاغة العربية» (ص٧٠٢)

والأدوات الآتية كلها للتصور وهي:

٣ – **ما** : موضوعة للاستفهام عن غير العقلاء، ويطلب بها:

(أ) شرح الاسم بلفظ مرادف.

(ب) أو بيان حقيقة المسمى نحو: ما اللمس؟ فيجاب هو الجماع.

٤ – **مَنْ** : يُطلب بها تعيين أحد العقلاء، مثل: من مُؤلف كتاب زاد المعاد؟ من قائد معركة القادسية؟

٥ – **متى**: يُطلب بها تعيين الزمان الماضي، مثل: متى دخلنا دار الحديث؟ وتُستعمل – أيضًا – لتعيين الزمان المستقبل، متى نطلب العلم؟.

٦ – **أيان**: تُستعمل لتعيين الزمان المستقبل خاصة، كقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**﴾ [القيامة: ٦].

٧ – **كيف**: تُستعمل لتعيين الحال كقوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ**﴾ [النساء: ٤١].

٨ – **أين**: تُستعمل لتعيين المكان، كقوله تعالى: ﴿**أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ**﴾

[الأنعام: ٢٢].

٩ – **كم**: تُستعمل لتعيين العدد، كقوله تعالى: ﴿**كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩].

١٠ – **أنّى** : تُستعمل بمعنى «كيف»، كقوله تعالى: ﴿**أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وتكون بمعنى «من أين» كقوله تعالى: ﴿**يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا**﴾ [آل عمران: ٣٧]، وتكون بمعنى «متى» كقولك: أنّى يأتي عبد الله.

١١ - أي: يسأل بها عن الزمان نحو: أي الأيام أحب إليك. والمكان، نحو: أي البلاد أحب إليك. والحال، نحو: على أي حال أصبحت. والعدد، نحو: أي عشرة تأخذ. والعاقل كقوله تعالى: ﴿ **أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا** ﴾ [التوبة: ١٢٤]. وغير العاقل كقوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [المرسلات: ٥٠]. ويُطلب بها تميز أحد المشاركين في أمر من الأمور كقوله تعالى: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨١].

الأغراض التي تخرج إليها أدوات الاستفهام:

اعلم - أخي - أن الأدوات السابقة وُضِعَت للاستفهام، ولكنها قد تخرج عن هذا الوضع إلى أغراض يُمكن أن تُفهم من السياق لغرض بلاغيّ.

وأهم هذه الأغراض:

١ - النفي: كقوله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠][١].

٢ - الأمر: كقوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩١][٢].

٣ - التسوية: كقوله تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة: ٦].

٤ - النهي: كقوله تعالى: ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ** ﴾ [التوبة: ١٣][٣].

٥ - الإنكار[٤]: كقوله تعالى: ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** ﴾ [إبراهيم: ١٠].

---

(١) أي: ما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان.

(٢) أي: انتهوا.

(٣) أي: لا تخشونهم، فالله أحق أن تخشوه.

(٤) الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيه كقوله تعالى: ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وإذا وقع في النفي يجعله إثباتًا كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى** ﴾ [الضحى: ٦].

٦ - التشويق: كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

٧ - الاستئناس: كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧].

٨ - التعزير: كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

٩ - التهويل: كقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ – ٣].

١٠ - الاستبعاد: كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان: ١٣].

١١ - التعظيم: كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٢ - التحقير: كقوله تعالى: ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١].

١٣ - التعجب: كقوله تعالى: ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ [هود: ٧٢].

١٤ - التهكم: كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ [هود: ٨٧].

١٥ - الاستبطاء: كقوله تعالى: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

١٦ - التمني: كقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

١٧ - التنبيه على الخطأ: كقوله تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١].

١٨ - **التنبيه على الباطل:** كقوله تعالى: ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ** ﴾ [الزخرف: ٤٠].

١٩ - **التنبيه على طريق الضلال:** كقوله تعالى: ﴿ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴾ [التكوير: ٢٦].

٢٠ - **الوعيد والتخويف:** كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [المرسلات: ١٦][1].

---

(١) هذه أغراض تُفهم من السياق، وقد يكون هناك تداخل بين هذه الأغراض، فقد يكون التقرير مع التوبيخ، وقد يكون التقرير مع التعجب وهكذا.

التمني والترجي

التمني:

التمني هو طلب حصول شيء محبوب بشرط أن يكون مستحيلاً، أو ممكنًا لا يتوقع حصوله.

وللتمني أربع صيغ: واحدة أصلية، وهي: «ليت» كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤].

وثلاث غير أصليَّة (نائبة عنها) ويُتمنَّى بها لغرض بلاغي وهي:

١ - هل: [١] كقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [الأعراف: ٥٣].

٢ - لو: [٢] كقوله تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

---

(١) هل: تُستعمل للتمنّي إذا أردنا أن نُبرز المتمنى في صورة الممكن الذي لا نجزم بانتفائه.

(٢) لو: تأتي بها حينما يكون المتمني عزيزًا صعب الوقوع بعيد المنال على عكس المتمني بـ(هل)؛ لأن لو وُضِعَت في حقيقتها لتدل على امتناع الشيء، ومن هنا كانت حرف امتناع لامتناع، ومما يدل على أنها للتمني هو نصب الفعل المضارع بعدها (نكون) فلو أنها بقيت على أصلها حرف امتناع لامتناع لم ينصب المضارع بعدها تقول لو زرتني أكرمُك برفع الفعل المضارع؛ لأنك لم تقصد التمني.
وتدبرك للقرآن يُرشدك إلى الفرق بين (هل) و(لو)، تأمل قوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ [الشعراء: ١٠٢]. ألا ترى أن وجود الشفاعة أمر ممكن الحصول، وهو أيسر كثيرًا من رجوعهم إلى الدنيا، الذي استعملت فيه كلمة (لو) ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا، وهكذا نُدرك الفرق بين هاتين الأداتين، مع أن كلاً منهما للتمني، لكن حذار أن تستعمل إحداهما مكان الأخرى، وهنا فائدة، وهي: أن علماء البلاغة ألحقوا بـ(هل)

٣ - **لعلَّ**: كقوله تعالى: ﴿ **لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ** ﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧].

الترجي:

إذا كان الأمر المحبوب ممَّا يُرْجى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ ترجِّيًا، وله آداتان:

١ - **لعلَّ**: [١] كقوله تعالى: ﴿ **لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ [الطلاق: ١].

٢ - **عسى**: كقوله تعالى: ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ** ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقد تستعمل فيه «ليت» لغرض بلاغي[٢].

= و(لو): (لا و(ما)، فقالوا: (هلاَّ)، و(لولا)، و(لو ما) يقصدون بها التمني كقول: ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ [النور: ١٣]. وقول عنترة:

هلاَّ سألْت الخيلَ يا ابنةَ مالكِ ... إذا كنتِ جاهلةً بما لمْ تعلمي

(١) أخي قد تستغرب وجود (لعل) هنا في باب الترجي مع وجودها في باب التمني، فهي تُستعمل للتمنّي كما تُستعمل للترجي، وذلك لغرض بلاغي يُفهم من السياق، فإذا كان الأمر مستحيل الوقوع بعيد المنال مُعجز الدرك فهي للتمني، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص: ٣٨]، فهي هنا استعملت للأمر المستحيل فيُقال: لعلّ هنا للتمني.

والترجي كقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١]، فهي هنا استُعملت للأمر الممكن حصوله، ومثال ذلك: ليت. فقد تستعمل للترجي أحيانًا، ويُفهم ذلك من السياق.

(٢) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيله نحو:

فيا ليتَ ما بيني وبين أحبَّتي ... من البُعدِ ما بيني وبينَ المصائبِ

النــــداء

تعـريـفـه :

هو طلب الإقبال بحرف نابَ مناب «أدعو»[١] ملفوظًا به نحو يا عبد الله أو مقدرًا نحو: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا**﴾ [يوسف: ٢٩].

وأدواته ثمان :

يا، والهمزة، وأيْ، وآ ، وآي ، وأيا ، وهيا، وا .

أقسـامـه :

(أ) نداء القريب له أداتان:

١ - الهمزة: كقوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾ [الزمر: ٩].

٢ - أيْ: [٢] نحو: أي أخي، احرص على ما ينفعك.

(ب) نداء البعيد، وله ست أدوات:

١ - يا [٣]: نحو: يا حاضرًا في قلبي.

---

(١) الجملة في النداء تتكون من الفعل والفاعل الذي ناب عنه حرف النداء وفاعله، فإذا قلت: «يا عبد الله»، وأردت استخراج المسند والمسند إليه من هذه الجملة، فإن المسند هو الفعل (أدعو) الذي ناب عنه حرف النداء (يا) والمسند إليه الفاعل، وهو (أنا).

(٢) أيْ: أداة استفهام للقريب على خلاف بين النحاة، قال ابن هشام في المغني: «حرف لنداء البعيد أو القريب أو المتوسط، على خلاف في ذلك.

(٣) يا : هي أكثر أدوات النداء استعمالاً ولهذا قيل: إنها مشتركة بين النداء البعيد والقريب، ولكن =

٢ – **أيا** : نحو : قول الشاعر :

أيا جبلي نُعْمان بالله خَلِّيا ... نَسيمَ الصَّبا يُخْلِصْ إليَّ نسيمَها

٣ – **هيا** : نحو : هيا بني متى تعود .

٤ – **آي** : نحو آي بني إلينا .

٥ – **آ** : نحو : آ بني هلم إلينا .

٦ – **وا** : وامعتصماه .

قد ينزل البعيد منزلة القريب لشدة حضوره في الذهن، كقول الشاعر :

أسكّان نعمانِ [1] الأراك تيقَّنُوا ... بأنكم في ربع قلبي سُكّانُ

وقد يجعل القريب كالبعيد، كما يلي :

١ – **إما لرفعة رتبته** : نحو : يا الله .

٢ – **أو لانحطاط رتبته** : أيا هذا، أو يا كسول اجتهد .

٣ – **أو لغفلته وشرود ذهنه** : كقول البارودي :

يا أيُّها السَّادرُ المُزْوَرُّ من صَلَفٍ ... مهلاً فإنَّك بالأَيّام مُنْخَدِعُ

= الذي كثير من العلماء إلى أنها وضعت لنداء البعيد .

قال الزمخشري كما في « شرح المفصل » لابن يعيش (١ / ١١٩) : « هي لنداء البعيد، أو هو بمنزلته من نائم أو ساهٍ، وإذا نودي من عداهم، فلحرص المنادي عليه ووباطنته لما يدعوه وقول الداعي : « يا رب » ، و« يا الله » استعصار منه لنفسه وهضم لها واستبعاد عن مظان القبول والاستماع، وإظهار للرغبة في الاستجابة بالجوار » .

(١) موضع قرب عرفة .

قد يخرج النداء عن معناه فيرد به معانٍ أخرى تفهم من السياق، ومن أهم ذلك :

١ - الزجر : كقول الشاعر :

أفــؤادي مــتى المشــابُ ألمّا   تصحُ ولشيب فوق رأسي ألمّا

٢ - التحسر : لقوله تعالى : ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا** ﴾ [النبأ : ٤٠] .

٣ - الإغراء : يا مظلوم! قصداً إلى إعزائه وحثّه على زيادة التظلم .

٤ - الاختصاص : كقوله تعالى : ﴿ **رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ** ﴾ [هود : ٧٣] .

٥ - التعجب :

يا لك من قُـبَّـرَةٍ بمَـعْـمَـرِ   خلا لك الجوُّ فبيضي وأصفري

القصر

تعريفه:

القصر تخصيصُ أمر بآخر بطريقٍ مخصوص.

طرقه:

١ - **النفي والاستثناء:** كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فالنفي يكون بحرف (ما) والاستثناء يكون بحرف (إلاَّ) والمقصود عليه هنا هو ما بعد (إلا).

٢ - **إنما** [(١)]: كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالمقصود عليه مع (إنما) يكون مؤخرًا وجوبًا.

٣ - **العطف بـ (لا) بعد الإثبات:** نحو محمد شاعر لا كاتب، فالمقصود عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمُقابل لما بعدها.

٤ - **العطف بـ(لكن) أو (بل) بعد النفي:** نحو: ما خالد شاعرًا، بل محمدًا. ونحو: ما محمد مقيمًا لكن مسافرًا. فالمقصود عليه: «بل» أو «لكن» العاطفتين هو الواقع ما بعدهما.

٥ - **تقديم ما حقه التأخير** [(٢)]: كقوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ **عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا** ﴾ [يونس: ٨٥]. فالمقصود عليه في (تقديم ما حقه التأخير) هو المقدم.

---

(١) للقصر بـ(إنما) مزية على العطف؛ لأنها تُفيد الإثبات للشيء والنفي عن غيره في وقت واحد، بخلاف العطف فإنه يُفهم من الإثبات أولاً، ثم النفي ثانيًا أو عكسه.

(٢) القصر بالتقديم لا يكون بأداة من أدوات القصر، بل مرجع ذلك إلى الذوق السليم.

طرفـــاه:

يُقسّم القصر من حيث طرفاه – وهما المقصور والمقصور عليه – إلى قسمين:

١ – **قصر موصوف على صفة:** كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ونحو: إنّما البحتريّ شاعر.

٢ – **قصر صفة على موصوف:** نحو: لا رزاق إلاّ الله. ونحو: إنما الشاعر البحتري.

أقسامـــه:

١ – **حقيقي:** إذا اختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ولم يتعده إلى غيره أصلاً، نحو: لا خالق إلاّ الله.

٢ – **إضافي:** إن كان الاختصاص بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معيّن نحو: ما خالدٌ إلاّ شُجاع (١).

والقصر الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – **قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة:** كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ردّاً على من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة.

٢ – **قصر قلب:** إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته بالقصر نحو ما مسافر إلاّ عليّ. ردّاً على من اعتقد أن المسافر خالد لا علي.

٣ – **قصر تعيين:** إذا كان المخاطب يتردد في الحكم نحو قولك: ما عليّ إلاّ مسافر. ردّاً على من شكّ في السفر أو الإقامة.

---

(١) ما خالد إلاّ شجاع قصر إضافي، أي إنه لا يتجاوز الشجاعة إلى الجبن، لا بمعنى أنه لا يتجاوزها إلى صفة أخرى مثلاً كالصبر والسماحة والحلم والحياء...».

مواضع الفصل

١ - إذا كانت الجملة الثانية عين الأولى:

(أ) توكيد للأولى : كقوله تعالى : ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ [الطارق : ١٧]. فالمانع من العطف اتحاد الجملتين اتحادًا تامًا يمنع عطف الشيء على نفسه.

(ب) بيانًا لها : كقوله تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾ [طه : ١٢٠].

(ج) بدلاً منها : كقوله تعالى : ﴿ **أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣)** ﴾ [الشعراء : ١٣٢ ، ١٣٣].

فالجمل السابقة يُقال لها بينهن كمال اتصال.

٢ - إذا كانت الجملة الثانية جوابًا عن سؤال ناشئ من الأولى:

كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [يوسف : ٥٣]، فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فالمانع من العطف في هذه المواضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت، فبين الجمل شبه اتصال.

الفصل والوصل [1]

حقيقة الوصل :

عطف جملة على أُخرى بـ (الواو) . كقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [البقرة : ١٥] .

حقيقة الفصل :

ترك العطف كقوله تعالى : ﴿ **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ [البقرة : ١٤ – ١٥] .

مواضع الوصل :

هي أربعة مواضع :

١ – **إذا اتفقت الجملتان واشتركتا في الحكم الإعرابي:** كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة :٢٢٢] .

٢ – **إذا اتفقتا خبراً وإنشاءاً، مع المناسبة التامة ولا مقتضى للفصل:** كقوله تعالى : ﴿ **فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾ [الشورى : ١٥] .

---

(١) أي أخي ، لاشك أن هذا الفصل له شأن عند البلغاء ، بل إنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد سُئِلَ عنها بعض البلغاء فقال : « هي معرفة الفصل والوصل » ، فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ، والفصل ترك هذا العطف . **وخلاصة ذلك** : أن الصفات إذا كانت متضادة أو متقابلة سواء كان ذلك في الظاهر أم على سبيل الحقيقة ، فإنك تأتي بحرف العطف، وإلاَّ فلا داعي لهذا الحرف، وكذلك التوابع، لا يجوز أن يتوسطها حرف من حروف العطف، وأحسن العطف ما كان في كلام يشبه التضاد ، والجملة الإسمية إذا كانت حالاً يرجع اقترانها بالواو إلا إذا كان هناك سبب يحسن ترك هذه (الواو) كتقدم الخبر أو تقدم حال مفردة أو أداة .

٣ - إذا اختلفتا خبرًا وإنشاءً ، وكان الفصل موهمًا : مثل: لا وشفاه الله .
فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه، وهذا خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له .

٤ - إذا كانت الجملة الثانية لا تنسجم مع الأولى :

(أ) لعدم العلاقة نحو : الكتاب في المكتبة .

(ب) أو لاختلافهما خبرًا وإنشاءً كقوله تعالى : ﴿ **لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ [القصص : ٧٦] .

الإيجاز

الإيجاز :

حقيقته هو : إجاعة اللفظ وإشباع المعنى مع الإبانة والإفصاح كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٥]، فإن معنه كثير ولفظه يسير[١] .

أقسام الإيجاز :

أ - **إيجاز قصير** : وهو ما كان لفظه قصيرًا يسيرًا ومعناه كثيرًا دون حذف.

كقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ .

[الأعراف : ١٩٩] .

---

(١) قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ معناها : أن الإنسان متى علم أنه إن قتل يُقتل امتنع عن القتل، فكان في ذلك حياته وحياة غيره. وهذا القول يفصل ما كان يعتبر عند العرب أوجز كلام من هذا المعنى ، وهو قولهم « القتل أنفى للقتل » من وجوه :

١ ـ أن قوله تعالى ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ أقل حروفًا، إذ حروفها المتقدمة عشرة، وحروف « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر حرفًا .

٢ ـ في الآية الكريمة نصٌّ على المطلوب وهو الحياة .

٣ ـ ما يفيده تنكر ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ من التعظيم ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل واحد شخصًا قتلوا القاتل وعصبته ، فلما شرع لهم القصاص الذي هو قتل القاتل فقط منهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد ، فكان لأولياء القاتل من هذا الجنس حياة عظيمة .

٤ ـ اطراده وعمومه لأفراده ، إذ إن الاقتصاص مطلقًا سبب للحياة بخلاف القتل فإنه قد يكون أنفى للقتل ، كالذي على وجه القصاص ، وقد يكون أدْعى كالقتل ظلمًا .

٥ ـ خلوّه من التكرار، بخلاف قولهم فإنه فيه تكرار لفظ القتل.

٦ ـ اشتماله على المطابقة وهي الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة ، فإن القصاص مقابلاً للحياة ومضادًا لها باعتبار أن فيه قتلاً ، والقتل يشتمل على الموت المقابل للحياة . انظر « معجم البلاغة » (ص٥٥٦ ـ ٥٥٧)، وانظر قريب من هذا في التلخيص في علوم البلاغة للبرقوني (ص٢١٦) .

فهذه الآية على قصرها وتقارب أطرافها؛ قد جمعت مكارم الأخلاق بأسرها [١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ .

[الأعراف : ٣١] .

وهذه الآية أيضًا على قصرها جمعت الطب كله [٢] .

ومن بدع الإيجاز: قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص] .

فإنها الغاية في التنزيه وقد تضمنت الرد على أربعين فرقة [٣] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ١٨] .

ففي هذه الآية على قصرها أحد عشر جنسًا من الكلام ، نادت ، وكَنَت، ونبَّهت، وسمَّت ، وأمرت ، وبيَّنت ، وحذرت ، وخصَّت ، وعمَّت ، وأشارت ، وعذرت [٤] .

---

(١) قيل لابن عُيينة « كما في عين الأدب والسياسة (ص١٣٢-١٣٤) ، قد استنبطت من القرآن كل شيء، فأين المروءة ، فقال في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، ففيه المروءة ، وحُسن الآداب، ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفقة بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، ودخل في قوله ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعدادُ لدار القرار، ودخل في قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الحضّ على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازلة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة.

(٢) قال بعض أهل العلم، كما في تفسير ابن كثير (٢ / ١٨٩) : « جمع الله بهذه الكلمات الطبَّ كُلَّه ».

(٣) أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد .

(٤) فالنداء « يا » والكناية « أي » ، والتشبيه « ها » ، والتسمية « النمل » ، والأمر « ادخلوا » ، والبيان « مساكنكم » ، والتحذير « لا يحطمنكم » ، والتخصيص « سليمان » ، والتعميم « جنوده » ، والإشارة « هم » ، والعذر « لا يشعرون » .

قبل أن أنتقل بك - أخي - إلى معرفة إيجاز الحذف أحب أن أهمس في أذنك قائلاً : أن إيجاز القصر هو أعظم أنواع الإيجاز [١] .

ب - إيجاز حذف مع قرينة تعين المحذوف :

كقوله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف : ٨٢]. والمقصود أهل القرية.

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء : ٩٦] ، أي سدّ يأجوج ومأجوج .

وله مواضع متعددة فمنها:

١ - حذف المبتدأ: كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة : ١٠-١١] ، أي هي نار حامية .

٢ - حذف الخبر: كقوله تعالى :﴿ لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٣١]، أي: لولا أنتم حاضرون .

٣ - حذف الفاعل: كقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ [القيامة : ٢٦] . أي : الروح.

٤ - حذف المفعول: كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] . أي : إلهًا .

(١) قال ابن الأثير - رحمه الله - كما في المثل السائر (ص٢١٧) : « وهذا النوع هو أعلى طبقات الإيجاز مكانًا وأعوزها إمكانًا ، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء ، فإنما هو شاذًا نادرًا ، ويكثر ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى » .

وقال الجاحظ في « البيان والتبين » (٢ / ١) : « إنه - أي القرآن - قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة، على معانٍ متعددة يطول شرحها ، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أوردها القرآن ، لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول ، وأقل دلالة » .

٥ - **حذف المضاف إليه:** كقوله تعالى : ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ** ﴾ [الروم : ٤] . أي : من قبل كل شيء وبعده .

٦ - **حذف الجار والمجرور:** كقوله تعالى : ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا** ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، أي عملاً صالحًا بسيء ، وآخر سيئًا بصالح .

٧ - **حذف الموصوف:** كقوله تعالى : ﴿ **وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ** ﴾ [الصافات : ٤٨] ، أي حور قاصرات .

٨ - **حذف الصفة:** كقوله تعالى : ﴿ **فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ** ﴾ [التوبة : ١٢٥] . أي : مضافًا إلى رجسهم .

٩ - **حذف الحال:** كقوله تعالى : ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم** ﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤] . أي قائلين : سلامٌ عليكم .

الإطنـــاب

حقيقة الإطناب :

هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة [١] .كقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم : ٤] ، أي كبرت . فإذا لم يكن في الزيادة فائدة فهو تطويل وثرثرة .

أقسـام الإطنـاب :

١ - الإيضاح بعد الإبهام :

كقوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ [طه : ١٢٠] .فأنت تترقب ، ما الذي وسوس به الشيطان ؟ ، إن في ذلك إجمالاً لابد من بيانه ، فبينه سبحانه بقوله : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ . [طه : ١٢٠] .

٢ - ذكر الخاص بعد العام :

كقوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فلقد ذكرت الوسطى مرتين ، فهي داخلة في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ ، ثم ذكرت مرة أخرى تنويهاً وتعظيماً ، كأنما هي شيء آخر .

---

(١) ويعرف بعضهم الإطناب بأنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد .
فقولهم لفائدة خرج من التطويل وهو زيادة من غير فائدة كقولك آتيك الخميس قبل يوم الجمعة .
فقولهم : جديدة » تخرج عنه الألفاظ المترادفة لأنها لغوية وليست جديدة .
وقولهم : من غير ترديد يحترز به من التواكيد اللفظية في مثل « اضرب اضرب » .

٣ - التكرير والتوكيد لمعنى :

كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾ [الشرح : ٥ - ٦] ، أو للحث على شكر نعمة من النعم، كما في قوله سبحانه ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) ﴾ [الرحمن : ١٣] ، أو لطول الفصل كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴾ [الحج : ١٧] ، فكرر ﴿ إِنَّ ﴾ لطول الفصل .

٤ - التذليل : (١)

كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ . [الإسراء : ٨١] .

ثم أكد هذه الجملة بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ . [الإسراء ٨١] .

٥ - الاعتراض : (٢)

كقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾ [النحل: ٥٧] فـ ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ جاءت معترضة .

---

(١) التذييل : هو تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى تأكيداً للجملة الأولى، وهو قسمان :
١ - جارٍ مجرى الأمثال لاستقلال معناه عما قبله .
٢ - غير جارٍ مجرى المثل لعدم استغنائه عما قبله .

(٢) الاعتراض : هو أن يؤتى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محل لها من الإعراب غير دفع الإيهام ، وقد يكون في آخر الكلام كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، فجملة ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ معترضة .

٦ - زيادة الترغيب في العفو :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن : ١٤] .

٧ - استمالة المخاطب :

كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر : ٣٨-٣٩] .

٨ - الاحتراس : (١)

كقوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [الإنسان : ٨] ، أي مع حبهم للمال فهم ينفقون منه ،ومن الاحتراس قول الأعرابية لرجل: « أذلَّ الله كل عدوٍّ لك إلا نفسك » .

٩ - التتميم :

كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾

[البقرة : ١٧٧] .

فقوله تعالى على حبه من التتميم في شيء لأنه من تمام الآية الكريمة ، لأن المعنى انتهى عند قوله سبحانه ﴿ وَآتَى الْمَالَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ .

---

(١) الاحتراس : هو المحافظة على المعنى من كل ما يفسده ويغيره .

المســاواة [١]

هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له ، بأن تكون المعاني بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعاني .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ .

[البقرة : ١١٠] .

فأنت تجد اللفظ على قدر المعنى لا ينقص عنه ولا يزيد .

وقوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) ﴾ [الرحمن : ٧٢] . أي محبوسات على أزواجهن .

وقوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) ﴾ [القلم : ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٤] .

---

(١) المساواة هي المذهب المتوسط بين « الإيجاز » و« الإطناب » والمعتبر في « المساواة » عُرْفُ أوساط الناس الذين لم يرتقوا إلى مرتبة البلاغة ، ولم ينحطوا إلى غاية الفهاهة .

علم البيان

التشبيه

التشبيه في اللغة : التمثيل :

وحقيقته : هو إلحاق أمر بأمرٍ بأداة التشبيه الجامع لها .

أركانه :

للتشبيه أربعة أركان هي : المُشَبَّهُ ، والمُشَبَّهُ بِهِ ، ويسميَان طَرَفي التشبيه ، وأداةُ التشبيه ، ووجه الشبه.

كقولك : عبد الله كالأسد في الشجاعة .

فهذا المثال اشتمل على أركان التشبيه كلها ، فالمشبه (عبد الله) ، والمشبه به (الأسد) ، والأداة (الكاف) ، ووجه الشبه (الشجاعة) .

أدوات التشبيه :

من أدوات التشبيه هي :

- إما اسم (مثل ومماثل وشبه ، وما رادفها) .
- وإما فعل (يشبه ، ويماثل ، ويحاكيم ، ويضارع) .
- وإما حرف (الكاف ، وكأن) .

طرفا التشبيه :

هما المشبه والمشبه به،وهما الركنان الأساسيان اللذان لا يحتملان السقوط ، فلابد من ذكرهما معًا ، إذ لو حُذِفَ أحدهما لم يُسمَّ تشبيهًا ، أما الأداة ووجه

الشبه فكثير ما يحذف أحدهما أو كلاهما ويبقى الكلام تشبيهًا [١] .

وجــه الشبــه :

هي الصفة المشتركة بين الطرفين ، ويجب أن تكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المُشَبَّه .

أقسام التشبيه باعتبار أداته :

١ – **التشبيه المؤكد** : وهو ما حذفت أداته نحو :

عبد الله أسد في الشجاعة

٢ – **التشبيه المرسل** : هو ما ذكرت فيه الأداة نحو :

عبد الله كالأسد في الشجاعة

٣ – **التشبيه البليغ** : وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه[٢]، نحو:

عبد الله أسد

---

(١) طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) ، ينقسما إلى قسمين :

١ – حسيان أي مدركان بأحدى الحواس الخمس وهي « البصر ، والسمع ، والذوق ، واللمس، والشم » ، نحو عبد الله كالشمس في الضياء .

٢ – علقيان (أي مدركان بالعقل) ، نحو الجهل كالموت .

٣ – إما المشبه حسي والشبه به عقلي نحو طبيب السؤ كالموت .

٤ – إما المشبه عقلي والمشبه به حسي ، نحو العلم كالنور .

(٢) من التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو (راغ روغان الثعلب) ، ومنه أيضًا : إضافة المشبه به للمشبه نحو : (ابس فلان ثوب العافية). انظر جواهر البلاغة ، الحاشية (ص١٧٠) .

التشبيه التمثيلي

حقيقته هو : أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد .

كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٧] .

فانظر وتأمل تجد أن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، أي أن حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر ، كحال من استوقد ناراً ليستضيء بها ، ثم انطفأت فلم يبصر بها شيئًا .

وغير التمثيلي ما كان بخلاف ذلك ، نحو عبد الله كالقمر في الضياء .

وهذا مثال آخر يعينك على فهم التمثيل وتذوقه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ [الجمعة : ٥] .

فالمشبه اليهود ، وقد كلفوا بالتوراة، والقيام بما فيها من تكاليف فيها الخير لهم ، ولكنهم أعرضوا عنها ولم ينتفعوا بها ، والمشبه به الحمار يحمل الأسفار النفيسه .

ووجه الشبه صورة منتزعة من متعدد ، فأنت ترى في هذا المثال وجه الشبه ليس مفرداً ، بل منتزع من عدة أمور .

التشبيه الضمني

حقيقته : هو تشبيه لا يوضح فيه المشبَهُ والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمحان في التركيب .

كقول أبي تمام :

لا تفكري عَطَلَ الكريم من الغنى   السيل حرب للمكان العالي

يريد أبو تمام أن يقول لمن يخاطبها : لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغني ، فإن ذلك ليس غريبًا ، لأن قمم الجبال وهي أعلى الأماكن لا يستقر فيها ماء السيل ، فالكلام يوحي بتشبيه ضمني ، ولو صرح له لقال مثلاً : إن الرجل المحروم الغنى يشبه قمة الجبل ، وقد خلت من ماء السيل ، ولكنه لم يقل ذلك صراحة ، وإنما أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان .

وقال أيضًا :

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ   طويت أتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف الفود

فأنت تجد الشاعر قد فصل المعنى في البيت الأول أعظم تفصيل ، وفي البيت الثاني ، ذكر أن الحسود سبب في في نشر الفضيلة المغيبة ألا ترى هذه النار التي تأكل الخضر واليابس في كل ما حوله .

ولو صرح لقال مثلاً : أن الرجل الحاسد يشبه النار .

لكنه لم يقل ذلك صراحة ، وإنما أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى ،

فأنت تـدرك أن هذا التشبيه لم يأتِ على صـورة من الصـور التي عرفتهـا من قبل ، ولكنك تلمح بكل وضوح أن هناك تشبيهًا رائعًا يعمل في النفس عمل السحر.

التشبيه المقلوب

حقيقته : هو جعل المشبه مشبهًا به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر ، كقول الشاعر :

الوردُ يحكي خدَّه والرمح يشبهُ قدَّه

فهذان « تشبيهان مقلوبان » أصلهما : خده يحكي الورد ، وقده يشبه الرمح ، فأنت تعلم أن العادة في البلاغة على تشبيه الأدنى بالأعلى ، فإذا جاء الأمر على خلاف ذلك فهو التشبيه المعكوس أو المقلوب طلبًا للمبالغة بادعاء أن وجه الشبه في المشبه أقوى منه في المشبه به .

وهذا موضع من علم البيان حسنا لموقع لطيف المآخذ، فأنت تقول في النجوم « كأنها المصباح » ثم تقول في حالة أخرى في المصباح « كأنها نجوم » .

وفي ذلك في كلام العرب كثير ، فهم يشبهون السيوف عند الانتضاء بالبروق ، ثم يعودون فيشبهون البرق بالسيوف المنتضاة .

وهنا - أخي - شرط لابد منه في استعمال التشبيه المقلوب ، ألا يرد إلا فيما جرى عليه العُرفُ ، والإلْفُ لدى العرب ، وذلك حتى تظهر بوضوح صدرة القلب ، فإذا لم يتحقق هذا الشرط كان القلب مبالغًا بل قبيحًا .

بلاغة التشبيه

بلاغة التشبيه كثيرة :

١ - تزيين المشبه أو تقبيحه :

قال ابن الرومي :

تقول : هذا مجاجُ النمل تمدحه   وإذا ذممتَ فقل : قيءُ الزنابيــر
مدحٌ وذمٌّ وما غيَّرت من صفةٍ   البيــان يُرى الظلماء كالنورِ

٢ - بيان إمكانه إذا كان غريبًا لا يمكن فهمه وتصوره إلا بالمثال :

قال البحتري :

دنوت تواضعًا وعلوت مجدًا   فشـأنك انحـدار وارتفـاعَ
كذلك الشمس تبعد أن تسامى   ويدنو الضوء منها والشعاعُ

٣ - بيان حاله إذا كان غير معروف الصفة : كقول النابغة يمدح النعمان :

كأنك شمسٌ والملوك كواكبُ   إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكب

٤ - تقرير حاله في نفس السامع بإبرازها فيما هو فيه أظهر وأقوى : كقولك لوالدك الذي يتمنى أن يكون عالمًا وهو لا يسعى للعلم :

تريدني لقيان المعالي رخيصة   ولابد دون الشهد من ابر النحل

٥ - بيان مقدار حالي المشبه : أي مقدار حاله من القوة والضعف ، والزيادة والنقصان - إذا كان معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية كقول الأعشى :

كأن مِشْيَتَها من بيت جارتها ... مرّ السحابةِ لا ريثٌ ولا عجلُ

٦ – تشويه المشبه وذمه ليكره ويرغب عنه : كقول المتنبي في الهجاء :

وإذا أشار محدِّثًا فكأنَّهُ ... قردٌ يقهقه أو عجوز تلطم

ومثله قول أعرابي في ذم امرأته :

وتفتح - لا كانت - فمًا لو رأيته ... توهمته بابًا من النَّار يُفتح

وخلاصة فوائد التشبيه :

إما التنفير من المشبه أو تحسينه ، أو بيان إمكانه أو بيان مقداره ، أو تقرير الحال بضرب المثال .

الكناية

الكناية لغة : أن تتكلم بالشيء وتريد غيره .

وفي الإصطلاح : بأن تريد المعنى وتعبر عنه بغير لفظه .

أقسام الكناية :

١ - كناية عن صفة : [١]

كقول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

طويلُ النّجادِ ، رفيعُ العمادِ كثيرُ الرّمادِ إذا ما شتا

فهذه ثلاث كنايات عن ثلاث صفات :

الأولى : كناية عن الطول ، وهي طويل النجاد .

الثانية : عن السؤدد والرياسة ، وهي (رفيع العماد) .

والثالثة : عن الكرم وهي (كثير الرماد) .

٢ - كناية عن موصوف : [٢]

كقوله تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[الزخرف :١٨] .

---

(١) ضابط الكناية عن الصفة أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة ولكنك لا تريد هذه الصفة ، إنما تريد لازمها ففي قولك (فلان كثير الرماد) ، ذكر للموصوف وهو فلان وذكر لصفاته وهي كثرة الرماد ولكنك لم ترد هذه الصفة نفسها ، بل أردت صفة لازمة لها وهي الكرم ، لأن كثرة الرماد تنشأ من كثرة النار ، وهذه تنشأ من كثرة الحطب ، وهي تنشأ عن كثرة الطبخ ، وذلك نتيجة كثرة الضيوف، والكرم لازم لذلك .

(٢) ضابط الكناية عن الموصوف أن تذكر الصفة والنسبة ولا تذكر الموصوف المكني عنه ، وللعلم أن الصفة في القسم الأول كانت كناية عن صفة أخرى هي الكرم ، وأما الصفة في هذا القسم فإن الغرض من ذكرها أن تتوصل إلى الموصوف المحذوف المكني عنه .

ففي الآية الكريمة كناية، فاللفظ المكنى وهو قوله : ﴿ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ وأما المكنى عنه فهو الفساد، ألا ترى أن الذي كنى به عن النساء ليس في الحقيقة إلا صفة لهن ، وإذا نظرت إلى الصفة وهي التنشئة في الحلية وجدتها مختصة بالنساء .

٣ - كناية عن نسبة :

كقولك :

فــــلان المجـــد بين ثوبيـــه والـــكـــرم مـــلء بـــرديـــة

فأنت ترى أن الصفة والموصوف مذكورتان مفصلاً نسبا ، هذه الصفة لصاحبها كلا إنما نسبها لشيء آخر هما « البردين والثوبين » وفي ذلك كناية عن نسبة المجد والكرم إلى الممدوح .

وتنقسم كناية النسبة إلى قسمين :

الأول - ما كانت الكناية فيه إثباتًا :

كقول الشاعر :

لا ينزلُ المجـــدُ إلا في منازلنا كـالنوْم ليس له مأوىً سِوىَ المُقَلِ

فتأمل تجد في الشرط الأول كناية يراد بها نسبة ، وهي : إثبات المجد لهم .

فقد قصر نزول المجد على منازلهم ، إنما هو لإثبات المجد لهم .

الثاني - ما كانت الكناية فيه نفيًا :

كقول الشاعر :

يبيتُ بمنجاةٍ من اللَّومِ بيتها إذا ما بيوتٌ بالملامةِ حلَّتِ

فأنت تجد أن في البيت وصف للمرأة بالعفة ، ونفي الملام عنها ، ولم يصرح بهذا بل نفي نسبة اللوم عن بيتها .

من فوائد الكناية :

١ - الاحتراز من بشاعة الألفاظ :

كما في الكنايات عن الجماع ، بالإفضاء ، والغشيان ، واللمس .

قال الله سبحانه تعالى : ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النساء : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا** ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

٢ - تهذيب النفوس لنتعلم الأدب :

كقوله تعالى : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المائدة : ٧٥] .

والكناية - أخي - كما عرفت بأن تريد المعنى تعبر عنه بغير لفظه ، وماذا ينتج عن الأكل ، إنه التغوُّط ولكن القرآن الكريم بالأكل عما بعده ، فما أبدع هذا الأسلوب .

٣ - التحسر :

كقوله تعالى : ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ** ﴾ [الكهف : ٤٢] .

فهذه كناية عن الندم ، لأن النادم يفعل ذلك عادة .

٤ - الإيجاز :

كقوله ﷺ : « **رُويدك سوقك بالقوارير** » ، يريد بذلك النساء ، فكنى عنهن بالقوارير بألطف عبارة وأوجز إشارة .

٥ - تستغني عن التصريح بالتلميح :

كقول إحدى النساء لعائشة - رضي الله عنها - أقيد جملي ؟ ، فقالت عائشة لا ، أرادت المرأة أن تصنع لزوجها شيئًا يمنعه من غيرها، أي تربطه عن أن يأتي غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تقيد الجمل، وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة - رضي الله عنها - .

من خلال ما سبق يتبين لك أن الكناية مظهر من مظاهر البلاغة - كما يقول علي الجارم ومصطفى أمين - رحمهما الله - [١] وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعُهُ وصفت تريحته ، والسِّرُّ في بلاغتها أنها في صورة كثيرةُ تعطيكَ الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية في طَيِّها بُرهَانَها ، كقول البحتري في المديح :

يَغُضُّونَ فَضْلَ الحْظِ مِنْ حَيْثُ مَابَدَا لَهُمْ مِمَنْ مَهَيبٍ في الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فإن كنى عن إكبار الناس للممدوح وهيبتهم إيَّاه بغض الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال وتظهر هذه الخاصة جليلة عن الكنايات عن الصفة والنسبة .

ومن أسباب بلاغة الكناية: أنها تضعُ لك المعاني في صورة المُحَسَّات ، ولا شك أن هذه خاصة الفنون ، فإنه المصوِّر ، إذا رسم لك صورة للأصل أو اليأس بَهَرَكَ وجعلك ترى ما كنت تعجزُ عن التعبير عنه واضحًا ملموسًا ، فمثل : « كثير الرماد »، في الكناية عن الكرم ، و« رسول الشر» في الكناية عن المزاح.

وقول البحتري :

أومـــا رأيت المجـــد ألقى رَحْلَهُ في آلِ طَلْحَـــةَ ثُمَّ لم يَتَـــحَـــوَّلِ

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة كلٌّ أولئك يُبرز لك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها .

---

(١) انظر : البلاغة الواضحة ، (ص١٣١-١٣٢) .

ومن خواص الكناية أنها تمكّنك من أن تَشْفِي غُلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً ، ودون أن تخدش وجه الأدب ، وهذا النوع يسمى بالتعريض ، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح به كافورًا ، ويُعَرِّض بسيف الدولة :

رَحَلْتُ فكم باكٍ بأجفانَ شَادِنٍ — على وكم باكٍ بأضفان ضَيْغَم
ومـا لَربة القُـرْط المليح مَكانةُ — بأجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحسَام المُعقِّم
فَلَوْ كانَ ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقنَّع — تَمدرْتُ ولكن من حبيبٍ مُعَمَّمَ
رمَى واتقى رَمْيِ ومِنْ دُونِ ما اتقَى — هَوى كاسرٌ كفِّي وقوْسي وأسْهُمي
إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَت ظُنُونَه — وَصَدَّقَ مـا يَعْتَـادُهُ مِنْ تَوَهُّمُ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المُعَمم ، ثم وصفه بالغدر الذي يدعي أنه من شِيمَةِ النِّساء ، ثم لامه على مبادهته بالعُدوان ، ثم رماه بالجُبن ، لأنه يَرْمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره ، على أن المتنبي لا يجازيه على الشرِّ بمثله؛ لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديمًا يكسر كفه وقوته وأسْهُمه إذا حاول النضال ، ثُمَّ وصفه بأنه سيئ الظن بأصدقائه ، لأنه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون حتى لايظن أن الناس جميعًا مثله في سوء الفعل ، وضعف الوفاء . فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله ، من غير أن يذكر من اسمه حرفًا .

هذا ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغُ الآذان سماعه ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن وكلام العرب ، فقد كانوا لا يُعبِّرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية ، وكانوا لشدة نخوتهم يُكنُونَ عن المرأة بالبَيْضَة والشاة .

ومن بدائع الكناية قول بعض العرب :

ألا يا نخلةٌ من ذاتِ عِرْقٍ عليك ورحمةُ الله السَّلامُ

فإنه كَنَى بالنخلة عن المرأة التي يحبها .

ولعل هذا المقدار كافٍ في بيان خصائص الكناية وإظهار ما تضمنته من بلاغة وجمال .

علم البديع

علم البديع

البديـــــع : لغة المخترع على غير مثال سابق .

واصطلاحًا : هو علم يُعرف به الوجده التي وضعت لتزيين الكلام وتنميقه، وتزيده حُسنًا وحلاوة وطلاوة وإشراقًا ، وكما أن تحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان ذاتي ، وبعلم البديع شكلي ، فهو يكسو الكلام بهذا رونقًا ونضارة بعد مطابقته لمقتضى حال السامعين ووضوح المراد .

ووجوه تحسين الكلام التي يبحث فيها « علم البديع » قسمان ، قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ .

فهو علم المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية .

المحسنات اللفظية (١)
الجناس

حقيقته هو تشابه اللفظان في النطق ، ويختلفان في المعنى .

وهو نوعان :

١ – جناس تام .

٢ – جناس ناقص .

١ - فالتام أن يتفق اللفظان في أربعة أمور :

١ – في نوع الحروف .

٢ – في الشكل .

٣ – في العدد .

٤ – في الترتيب .

كقوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ** ﴾ .

[الروم : ٥٥] .

فقد ذكرت الساعة مرتين ، ولكل منهما معنى ، فالساعة الأولى القيامة ، والثانية الجزء من الزمن .

---

(١) المحسنات اللفظية : لا تقع موقعها ، إلا إذا طلبها المعنى ، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحق بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهل لطلبه ، لأن المعنى لا تدين للألفاظ في كل موضع ، ولا تنقادُ لها في كلٍّ حين .

٢ - الجناس الناقص :

هو ما اختلف لفظًا في واحد من أربعة أمور :

١ - عدد الحروف ، كقوله تعالى : ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾** ﴾ [القيامة :٢٩-٣٠] .

فعدد حروف المساق زائد على عدد حروف كلمة الساق .

٢ - أو نوعها ، كقوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾** ﴾ [البلد : ٩ - ١٠] ، فقد اختلف اللفظان ﴿ **تَقْهَرْ - تَنْهَرْ** ﴾ في حرفي القاف والنون .

٣ - أو شكلها : كقول الشاعر :

فهلا نَهَاك نُهَاكَ عن لَوْمِ امرئٍ
لم يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

و« نهاك » الأولى مفتوحه النون وهي فعل ، والثانية مضمومة وهي بمعنى العقل .

٤ - أو ترتيبها : كقول ابن رَواحة :

وتحمله الناقةُ الأذمَاءُ مُعْتَجِرًا   بالبُرْدِ وكالْبَدْرِ جَلَّى نورَهُ الظُّلَمَا

والشاهد منه « البرد وكالبدر » .

٣ - جناس الاشتقاق :

ومن الجناس جناس الاشتقاق ، كقوله ﷺ : « **غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لها ، وأسلم سالمها الله ، وعُصَيَّةُ عصت الله ورسوله** » (١) .

---

(١) رواه البخاري (٣٥١٣) ، ومسلم (٦٧٩) .

٤ - الجناس المصحَّف :

ومن الجناس - أيضًا - (الجناس المصحَّف) ، وهو أن يتحدد اللفظان في الرسم والشكل والعدد والترتيب واختلفا في النقط فقط .

كقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾** ﴾ [الشعراء : ٧٠-٨٠] .

وقوله ﷺ : « **بَشِّروا ولا تنفِّروا ، ويسِّروا ولا تُعسِّروا** » [١] .

---

(١) رواه مسلم (١٧٣٢) .

السجـع

السجع حقيقته هو : أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير ، والفاصلة في النثر كالقافية في الشعر [١] .

وموطن السجع النثر وقد يكون في الشعر ، كقول المتنبي :

فنحنُ في جـذل والرّوم في وجل ... والبـرُّ في شُـغُل والبحـرُ في خَـجَل

ويسمى السجع في الشعر ترصيعًا ، وينقسم السجع إلى أربعة أقسام :

١ - **المطرف** : وهو ما اختلف فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنًا واتفقت رويًا ، وذلك بأن يرد في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيًا ، وبشرط أن يكون رويها روي القافية كقول أحد البلغاء : « الحُرُّ إذا وعد وفَّى ، وإذا أعان كَفَىَ ، وإذا مَلَكَ عَفَا » .

٢ - **المرصع** : هو ما اتفقت أحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية كقول الحريري « فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه » .

٣ - **المتوازي** : وهو ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين ، كقول

---

(١) لا يحسن السجع إلا إذا كان رصين التركيب ، سليمًا من التكلف ، خاليًا من التكرار في غير فائدة ، وأما السجع الطويل المتكلف فبارد ثقيل مرفوض كلَيْلِ الصدود الذي قيل فيه :

رب لـيل قطعتـه بصـــدودٍ ... وفـراقٍ ما كـان فيـه وداعُ

موحشٍ كالثقيل تقذي العيـ ... ـن وتابى حديثه الأسماع

وفي هذا يقول الشافعي : وقف أعرابيٌ على ربيعة بن عبد الرحمن ، فجعل يسجع في كلامه ، ثم نظر إلى الأعرابي فقال : يا أعرابي ، ما تدعون البلاغة فيكم ؟ ، قال : خلاف ما كنت فيه اليوم ، وأفضل السجع ما تساوت فِقَرُه ، ولا باس أن تطول الفقرة الثانية على الأولى ، أما العكس فلا يحسن ، والأسجاع مبنية على تسكين فَواصلها كالوقف، ولا يصح وصلها ، ولا تحريكها ، بل يذهب ذلك بجمالها وحسن إيقاعها . انظر تيسير البلاغة (ص١٤٦) .

الحريري : « ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط » .

وقوله : « وأودى بي الناطق والصامت ، ورثى لي الحاسد والشامت » .

٤ - **المشطور** : وهو أن يكون لكل سطر من البيت قافيتان مغايرتان بقافية الشطر الثاني وهذا القسم خاص بالشعر كقول أبي تمام :

تدبيـر مـعـتـصـم بالله منتـقـم ... لله مـــرتـغـب فـي الله مـــرتـقـب

فالشطر الأول كما ترى سجعه مبنية على قافية الميم ، والشطر الثاني سجعه مبنية على قافية الباء .

أشرف السجع :

١ - **ما تساوت فقراته** : أحسن السجع وأشرفه وأعلاه منزلة ما تساوت فقراته في عدد الكلمات كقوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠)** ﴾ [الضحى : ٩-١٠] [١] .

٢ - ما طالت الفقرة الثانية أكثر من الأولى طولاً لا يخرجه عن الاعتدال كثيراً لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وتنتفي الحلاوة ، كقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)** ﴾ .

[مريم : ٨٨ - ٩٠] .

٣ - ثم ما طالت فقرته الثالثة ، كقوله تعالى : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ**

---

(١) **تنبيه مهم** : يرى بعض العلماء ومنهم الباقلاني وابن الأثير كراهة اطلاق السجع على القرآن الكريم ، لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف ، إلى أنه مأخوذ من سجع الحمام وهو هديره، وإنما يقال في مثل ذلك فواصل أخذاً من قوله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ** ﴾ .انظر : علوم البلاغة للمراغي (ص٤٢٢) .

الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحاقة : ٣٠-٣٢] .

ولا يحسن أن تكون الفقرة الثانية أقصر من الأولى لأن السجع إذا استوفى أمده في الأولى بطولها وجاءت الثانية قصر منها ، كان كالشيء المبتور الذي لا ينتهي إلى غاية ولا تقف عنده نهاية .

الموازنة

الموازنة حقيقتها : هو تساوي الفواصل في الوزن ، والجرس دون الحرف الأخير كقوله تعالى : ﴿ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)** ﴾ .

[الغاشية : ١٥-١٦] (١) .

وقال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ **وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)** ﴾ [الصافات : ١١٧-١١٨] (٢) .

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)** ﴾ .

[مريم : ٨٤] (٣) .

ومن الموازنة في الشعر قول أبي تمام :

فأحجم لما لم يجد فيك مطعمًا ... وأقدم لما لم يجد عنك مهربًا

وقال الآخر :

أفاد فساد وقاد فزاد ... وساد فجاد وعاد فأفضل (٤)

---

(١) « مصفوفة ومبثوثة » متساويان في الوزن لا في التقفية ، لأن الأول على الفاء والثاني على التاء ، ولا عبر لتاء التانيث كما هو معروف في علم القوافي .

(٢) « المستبين والمستقيم » موازنة لأنهما تساويا في الوزن دون التقفية .

(٣) الموازنة هنا بين ﴿ عِزًّا - ضِدًّا ﴾ وبين ﴿ أَزًّا - عَدًّا ﴾ فقد جاءت كل كلمة على وزن واحد وإن اختلفت أحرف التقفية أو المقاطع وأمثال هذا في القرآن كثير .

(٤) قال ابن الأثير في الموازنة : هي أن تكون ألفاظ الفواصل في الكلام المنقول متساوية في الوزن ، وأن يكون =

التورية

لغة : الستر والتغطية ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ** ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، أي يسترها .

واصطلاحاً : أن يذكر المتكلم لفظًا له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظة عليه خفية .

وهذا الذي يريده إلا أنه يستره ويغطيه بالقريب المتبادر من لفظه وتسمى التورية « إيهامًا » (١) .

كقول الشاعر :

أصـــونُ أديمَ وجـــهي عن أُناسٍ ... لقـــاء الموت عنْدَهـم الأديب
وربُّ المشـعـر عندهُـمُ بغـيـضٌ ... ولو وافى بـه لَهُـمُ حـبـيـبُ

فأنت تجد أن كلمة (حبيب) لها معنيان : أحدهما المحبوب وهذا المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة « بغيض » ، والثاني اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيبُ بنُ أوْسٍ ، وهذا المعنى بعيد ، وقد أراده الشاعر،

= صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنًا ، وللكلام بذلك حلاوة ورونق وسببه الاعتدال ، لأنه مطلوب في جميع الأشياء ، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان ، وهذا الأمراء فيه لوضوحه، وهذا النوع من الكلام أخو السجع في المعادلة دون المماثلة ، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال ، هي تماثل الفواصل لورودها على حرف واحد ، وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموحد ولا تماثل في فواصلها ، فيقال : إذن كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعًا .

(١) فن التورية برع فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة وأتوا فيه بالعجيب الرائع الذي يدل على صفاء الطبع والقدرة على اللعب بأساليب الكلام ، كما قال عليّ الجارم ، وقال زكي الدين بن أبي الأصبع كما في كتابه « تحرير التحبير » : « التورية، وتسمى التوجيه ، هي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله » .

ولكنه تلطف فوري عنه وستره بالمعنى القريب .

المثال الثاني :

كان أبو بكر - رضي الله عنه - كثير الأسفار معروفًا ، فلما هاجر مع رسول الله ﷺ جعل مَنْ يعرفه يسأله : مَنْ هذا معك ؟ ، فيجيب « هادٍ » يهديني « الطريق » [١] .

فيحسبونه دليلاً يرافقه كي لا يضل الطريق وهو يريد المعنى البعيد ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى : ٥٢] ، ففي كلٍّ من كلمة « هادٍ » و« الطريق » تورية وألغاز .

ومن التورية قول بدر الدين الحمامي وقد طلب نوالاً من غيره لكن بأسلوب جميل :

جددوا لنسجع بالمديـ ... ـح على علاكم سرمدًا
فالطير أحسن ما تعز ... وعندما يقع الندى [٢]

فالتورية هنا في كلمة « الندى » فمعناها القريب الظاهر غير المراد هو ما يسقط آخر الليل من بلل ومطر خفيف ، يدلك التمهيد له بذكر الطير والتغريد والوقوع ، ومعناها البعيد هو الجود وهذا هو الذي أراده الشاعر .

---

(١) رواه البخاري (٣٩١١) .

(٢) من معاني الندى : الجود ، وما يسقط آخر الليل من بلل ومطر خفيف .

الالتفات

حقيقة الإلتفات هو أن يُحوَّل اتجاه التعبير من أسلوب التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى أسلوب آخر [١] .

كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٢) ﴾ .

[يس : ٢٢] .

فأنت ترى أن أسلوب التكلم كان يقتضيه أن يقول : « وإليه أرجع » ، ليكون الكل بنسق واحد : نسق المتكلم لكنه بعدما تحدث من نفسه التفت إلى قومه فخاطبهم محذراً ﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ .

أقسام الالتفات :

١ - **انصراف عن التكلم إلى الخطاب** ، كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٢) ﴾ [يس : ٢٢] .

٢ - **انصراف عن التكلم إلى الغيبة** ،كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** (١) **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** (٢) ﴾ [الكوثر : ١-٢] .

٣ - **انصراف عن الخطاب إلى التكلم كعتبة المرء نفسه** ، كقوله تعالى : ﴿ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** (٢٤) ﴾ [الفجر : ٢٤] .

٤ - **انصراف عن الخطاب إلى الغيبة** ، كقوله تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم** ﴾ [يونس :٢٢] ، بدل من « بكم » .

---

(١) ويشترط أن يكون الالتفات في جملتين أو أكثر لا في جملة واحدة فلا التفات .

٥ - **انصراف عن الغيبة إلى الخطاب** ، كقوله تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٢﴾ **الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** ﴿٣﴾ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴿٤﴾ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ [الفاتحة] ، فذكر إياك بدلاً عن « إياه » .

٦ -**انصراف من الغيبة إلى التكلم** ، كقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ** ﴾ [فاطر : ٩] ، بدلاً من « فساقه » .

من فوائد الالتفات :

فوائد الالتفات كثيرة ، فقد قيل إن الكلام إذا نُقل من أسلوب لآخر كان أبعث لنشاط السامع وأدعى إلى إصغائه وجذب انتباهه ، لأن النغم الواحد مملوك كالحديث المعاد ، وقديمًا قالوا : ﴿ **لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ** ﴾ [البقرة :٦١] . لكن للالتفات مواقع لطيفة واعتبارات شريفة جديدة بالبحث عنها والالتفات إليها ، فمنها :

١ - قال الله - سبحانه وتعالى - في شأن الإعراض عن الأعمى ، والتشاغل بزعماء قريش ، ليقبلوا الإيمان : ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ** ﴿١﴾ **أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ** ﴿٢﴾ **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ** ﴿٣﴾ **أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ** ﴿٤﴾ **أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ** ﴿٥﴾ **فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ** ﴿٦﴾ ﴾ [عبس : ١-٦] .

هنا الالتفات من أسلوب الغيبة ﴿ **عَبَسَ** ﴾ إلى الخطاب ﴿ **وَمَا يُدْرِيكَ** ﴾ ، ﴿ **فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ** ﴾ ، ولولا الالتفات لقيل : « وما يدريه » .

تأمل تجد أن تنشيط السامع قد أخذ مكانه إلى جناب سر يكمن في لطف الرب الكريم بالرسول العظيم ﷺ في موضوع عتاب ، لو فاجأه به من الأول بأسلوب الخطاب لانصدع فؤاده ، لأن الرسول - ﷺ - أعلم الخلق بالله ، وأشد

الخلق خشية لله ، فكان بدء العتاب في صورة الحكاية عن شخص غائب .

وما كان الخطاب بالعتاب إلا بعد هذا التعريض الكريم والإيقاظ اللطيف .

٢ - قال الله - سبحانه وتعالى - في قبول الفداء عن أسرى بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ .

[الأنفال : ٦٧] .

تجد هنا التفاتًا من الغيبة ﴿ لِنَبِيٍّ ﴾ لأن الاسم الظاهر في حكم الحكاية عن الغائب ، والتفت عنه إلى الخطاب ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ ولم يصدر العتاب بالخطاب ولما وصل إلى الخطاب جمعه مع غيره ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ ليخف وقع المؤاخذة .

٣ - قال الله - سبحانه وتعالى - معاتبًا لنبيه - ﷺ - : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] .

تأمل، هنا لا تجد التفاتًا بل تجد صيغة الخطاب بالعتاب من البدء ، لكنه مسبوق بالعفو ، ومقرون بالملاطفة في صورة الاستفهام .

٤ - قال الله - سبحانه وتعالى - في ركوب البحر : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾ .

[يونس : ٢٢-٢٣] .

تأمل بلاغة الإلتفات هنا وجمال الأسلوب ، خاطبهم أول ركوب الفلك

﴿ كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ ﴾ ، لأنهم لم يبعدوا ، فلما أقلعت بهم الفلك وابتعدت في البحر التفت عنهم متحدثًا بضمير الغائب ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ ، ﴿ وَفَرِحُوا ﴾ ، ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ ﴾ ، ﴿ وَظَنُّوا ﴾ ، ﴿ دَعَوُا ﴾ ، ثم لما أنجاهم من البحر ، ووطئت أقدام البر ، ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ، فالتفت إليهم ثانيًا وخاطبهم بعقوبة جُرمهم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾ (١) .

---

(١) انظر تيسير البلاغة (ص١٥٩) ، بتصرف يسير .

المشاكلة

المشاكلة هي في اللغة: المماثلة.

واصطلاحاً:

ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته

كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] أي: أخذهم بمكرهم فأنت – أخي – ترى أن اللفظ يشاكل اللفظ الذي قبله ولكن المعنى مختلف.

١ – قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أي تعلم ما في نفسي ولا أعلمُ ما عندك، فإن الحق – سبحانه وتعالى – لا يستعمل في حقه لفظ «النفس» إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس.

٢ – وقال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها.

٣ – وقال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] أي فعاقبوه، فعدل عن هذا لأجل المشاكلة اللفظية.

٤ – ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجْـهلَنْ أحـدٌ علينا   فَنَجْـهل فـوق جـهلِ الجاهلينا

أي فنجـازيه على جـهلهِ، فـجـعل لفظة «نجـهل» مـوضع فنجـازيه لأكل المشاكلة.

٥ – ومنه قول أبي سعيد المخزومي:

حَـدَقُ الآجـالِ آجـالُ   والهـوَى للمـرءِ قـتَّـالٌ

فلفظة «الآجال» الأولى أسراب البقر الوحشية، والثانية منتهى الأعمار، وبينهما مشاكلة في اللفظ والخط.

وقال أحد الشعراء:

قالُوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه

قلتَ اطبخُو لي جُـبَّـةً وقميصا

أراد «خيطوا» فذكره بلفظ «اطبخوا» لوقوعه في صحبته طَبْخَةٌ[١].

---

(١) من طريف ما يذكر أن ضيفاً نزل على آخر من أرباب المجون فظل يُسمعه من أنواع الغناء ما شاء، من الصباح إلى المساء، دون أن يُقدِّم إليه شيئاً من طعام؛ وأخيراً لما قتله الجوع وقال له صاحب البيت:
أي نغم تحب أن تسمع؟
قال أحب نغم المقلي
فالمقلي لا نغم له، وإنما جاء الضيف بهذه الكلمة «للمشاكلة».

الطبــاق

الطباق حقيقته :

هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام.

وقد يكونان اسمين كقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]

وقد يكونان فعلين كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣].

أو حرفين كقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وينقسم الطباق إلى قسمين:

١- **طباق الموافقة**: وهو أن يجتمع الضدان مع اتحاد التعبير سلباً أو إيجاباً ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤]

٢- **طباق المخالفة**: وهو أن يجتمع الضدان مع الاختلاف بينهما سلباً وإيجاباً، بان يكون أحدهما موجباً والآخر منفياً. كقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

المقابلة

المقابلة حقيقتها :

هي إيراد الكلام، ثم المقابلة بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.

كقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]، فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، فالمكر من الله تعالى جعله الله – سبحانه وتعالى – مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته.

وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، فنسيانهم الله مقابلة لنسيهم أي تخلى عنهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، فقد جمع بين الضحك والبكاء، والقلة والكثرة، مقابلة لسوء عملهم.

حسن التعليل

حسن التعليل:

أن ينكر الأديب علة الشيء المعروفة ويأتي بعلة أخرى طريفة من ابتكاره، لها اعتبار لطيف ومشتملة على دقة النظر بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه.

كقول الشاعر:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً   أن يُرى النَّوْرُ في القضيبِ الرَّطيبِ

فكما تعلم أن الشيب أسبابه معلومة عِلَلُهُ، ولكننا نجد الشاعر قد علله بغير كنهه وهذا يسمى حسن التعليل.

ومن هذا القبيل ما علل بعض الشعراء زلزالاً حدث في مصر فقال:

ما زُلْزِلَتْ مِصرُ من سُوءٍ أُريدِ بها   لكِنَّها رَقَصَتْ مِنْ عَدلِهِ طَرَباً

فجعل الزلزال ناشئاً عن عدل ممدوحه.

وقال ابن المعتز في الرثاء:

وما كلْفَةُ البدر المنير قديمة   ولكنها في وجهه أثر اللَّطمِ

يقصد أن الحزن على المرثي شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك يَدَّعي أن كلفة البدر – وهي ما يظهر على وجهه من كدرة – ليست ناشئة عن سبب طبيعي وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي.

ومثله قول الشاعر :

أمَّا ذُكاءُ فلم تصفر إذا جنحتْ ... إلاَّ لفرقة ذاك المنظرِ الحسنِ

يقصد أن الشمس لم تصغر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها أصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح.

ومثله قوله الشاعر :

ما قَصَّة الغيث عن مصر وتربتها ... طبعاً ولكن تعدَّاكم من الخجل

ولا جرى النيل إلاَّ وهو معترف ... بسبقكم فلذا يجري على مَهَلِ

تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه
أي تأكيد الذم بما يشبه المدح

أولاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وله أسلوبان:

الأسلوب الأول - أن يذكر صفة ذم منفية، ثم يأتي بأداة الاستثناء فيتوهم السامع أنه يريد أن يستثني من هذا المنفي شيئاً يذم به الممدوح.

كقوله تعالى حاكياً عن سحرة فرعون: ﴿ **وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا** ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦].

ففي هذا الأسلوب ننفي عيباً ثم نستثني شيئاً إلا أن هذه المستثنى عند التأمل نجده مدحاً آخر.

انظر إلى قول الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فُلُولٌ من قراعِ الكتائبِ

فقد نفى العيب كما رأيت بقوله (ولا عيب فيهم) ثم جاء بأداة الاستثناء فتوهم أنه يريد أن يثبت عيباً ولكن هذا الذي استثناه لم يكن سوى مدحٍ على مدحٍ.

الأسلوب الثاني -

أن يذكر المتكلم صفة مدح ثم يستثني منها صفة، فيظن أن المستثنى مذموم ولكن في الحقيقة يكون مدحاً على مدح.

كقول الذبياني أيضاً:

فتىً كَمُلَتْ أخلاقُهُ غَيرَ أنَّه جوادٌ فما يُبْقِي على المالِ باقِيا

وقول الآخر:

وعودٌ كأزهَارِ الرياضِ نَضَارَةٌ ولَكِنَّها يَوْمَ الهَياجِ صُخُورُ

ثانياً - تأكيد الذم بما يشبه المدح:

وله أسلوبان

الأول: أن ينفي صفة خير ثم يأتي بأداة استثناء فيتوهم أنه يريد مدحاً.

نحو: فلان لا خير فيه إلا أنَّه يتصدق بما يسرق.

الثاني: أن يثبت صفة ذم ثم يأتي بأداة الاستثناء فيتوهم أنه يريد مدحاً إلا أن المستثنى يكون ذماً

نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة.

ونحو: فلان حسود إلا أنَّه نمام.

الأسلوب الحكيم

الأسلوب الحكيم :

أي أخي انظر أولاً إلى هذه التسمية أنه يدل على الحكمة في مخاطبة الناس وحقيقته هو أن تحدث المخاطب بغير ما يتوقع بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أن الأولى أن يكون خلاف المراد توجيهاً وتنبيهاً.

فانظر إلى قول الرب جل جلاله : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

فأنت ترى أن سؤال الصحابة عن علة تغير الهلال فكأنهم قالوا : « ما بال الهلال يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يعود كما بدا؟ »

ولكن – ربنا جل في علاه – أخبرهم عن الحكمة لا عن العلة فقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ وهذه الإجابة – كما تعلم – ليس عن سبب تغير الهلال بل عن الحكمة منه وهذا هو الأسلوب الحكيم (!) فكأنه قال لهم حرى بكم أن تسألوا عما أنتم بحاجة إليه دل على ذلك تمام الآية : ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا** ﴾ .

أي أن مثلهم في السؤال كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره. وأزيدك مثالاً فإنه بالمثال يتضح المقال كما يقال وقالوا : ما تكرر تقرر .

وها هو المثال قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥] فقد سألوا عما ينفقون ولكن الله – سبحانه وتعالى – أجابهم عن سؤال آخر وهو لمن ينبغي أن تكون النفقة فكأنه قال لهم حري بكم أن تسألوا سؤالاً مفيداً أنتم بحاجة إليه، ومثل هذا في القرآن كثير.

وهذا الذي تقدم هو حول تجاهل سؤال المخاطب وإجابته عن سؤال آخر لا مشقة فيه ولا حرج بل نافعاً مفيداً.

وهناك نوع آخر من الأسلوب الحكيم وهو: أن نحمل كلامه على غير ما كان يقصده ويريده، وفي هذا توجيه للمخاطب إلى ما ينبغي أن يسأل عنه وتتوجه إليه همته.

وهذا قريب من النوع الأول إلا أن الأول كان ناشئاً عن سؤال.

ومن أمثلة هذا النوع ما جرى بين القبعثري والحجاج فإنَّه لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان قال: «اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه» فوشي به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه وسأله عن ذلك قال: إنما أردت العنب فقال له الحجاج مُتوعِّداً (لأحملنَّك على الأدهم) يُريد القيد الحديد الأسود فقال القَبعثَري «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاج أردت الحديد، فقال القبعثري: لأن يكون حديد أخير من أن يكون بليداً، ومراده تخطئه الحجاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد.

ومثل ذلك قول ابن حجاج البغدادي:

قـال ثقلـتُ إذْ أتيتُ مـراراً ... قُلْتُ ثقلت كـاهلي بالأيادي
قال طوّلتُ قلتُ أو لَيْستَ طوْلاً ... قال ابرمتُ قُلْتُ حبل ودادي

فتأمل كيف وقى أخاه الذلة واذهب عنه الحرج، فهو قال له لقد اثقلتُ عليك كثرة ما أسأل ولكنه يرد عليه بمعنى آخر إذ قال له بل أنت اثقلت كاهلي بالنعم، وقال له – أيضاً – لقد طولت عليك بأخذي وقتك، فكان الجواب أوليت طولاً أي نعما، وقال له ابرمت أي جعلتك تسأم كثرة زيارتي لك فقال له إنما إبرمت حبل مودة وعهد صفاء أي أن زيارته المتكررة قد جددت عهد مودة وهذا من بديع الأسلوب الحكيم.

وأجمل من ذلك قول الشاعر:

أتت تشتكي عندي مزاولَةَ القِرى
وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلتُ كأني ما سمعتُ كلامها
هم الضيف جِدّي في قِراهم وعجّلي

فأنت ترى أن الزوج عندما رأى زوجته قد فتحت باباً لا يغلق إلا بعد أخذ ورد عمد إلى الأسلوب الحكيم في صرفه فشغلها بما هو انفع له ولها.

ومن ذلك قول الشاعر:

أحبَّني حين مالوا عن مُواصلتي ... تحيَّلوا يدعون الذنب من قبَلي
قالوا: تناسيتَ؟ قلتُ الروحَ بعدكمْ ... قالوا جفوتَ فقلتُ: النومَ في مُقلي

المبالغة

المبالغة:

أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة حد مستحيلاً أو مستبعداً فإن المعنى إذا زاد عن حده سمي مبالغة

ومن شأن العرب أن تبالغ في المدح والذم كما من شأنها أن تختصر وتوجز، وذلك لتوسعها في الكلام واقتدارها عليه، ولكل من ذلك موضع.

وتنقسم المبالغة إلى قسمين:

القسم الأول:

المبالغة في اللفظ فتجري مجرى التأكيد كقولنا: « رأيت عبد الله نفسه عينه » وهذا هو الحق بعينه فتؤكد عبد الله بالنفس فقولك رأيتُ عبد الله، قد أغناك عن ذكر النفس والعين.

وأما المبالغة في المعنى فإخراج القول على أبلغ غايات معانيه كقول الرب جلَّ جلاله: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ [المائدة: ٦٤].

أي إنه قد قتَّر علينا، فبالغ الله – سبحانه وتعالى – في تقبيح قولهم فأخرجه على غايات الذم لهم.

وهذه المبالغة غير مقبولة.

وهناك مبالغة مقبولة ولكل معنى خاص بها[١].

المبالغة المقبولة:

فمن المبالغة المقبولة أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر، لو وقف عليه لأجزاه ذلك في الغرض، فيزيد في المعنى ما يكون أبلغ كقول عمير بن الأيهم:

ونكرمُ جارَنا ما دام فينا ونتبُعه الكرامةَ حيثُ مالا

فإكرامهم للجار ما دام فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة، وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل.

من ذلك قول الحكم الخضري:

وأقبحُ من قرد وأبخلُ بالقِرَى من الكلب أمسى وهو غرثانُ أعجفُ

فقد كان يكفي أن يقول هذا المهجو أبخلِ من الكلب.

لكنه بالغ فقال «وهو غرْثانُ أعجف».

ومن المبالغة المقبولة المبالغة البليغة:

وهي في أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه.

كقوله تعالى: **﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾** [الحج: ٢].

---

(١) قال أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين (ص ٣٦٧): «ومن المبالغة نوع آخر، وهو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها، فيجاوز ذلك حتَّى يزيد في المعنى زيادة تؤكده ويلحق به لاحقة تؤيده».

فأنت ترى أنه لو كان السياق هكذا (تذهل كل امرأة عن ولدها » لكان بياناً حسناً وبلاغته كاملةً، وإنما خصَّ المرضعة للمبالغة لأن المرضع أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليه وأشغف به لقرابه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً.

وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف.

وهذا وصف في غاية البلاغة والإعجاز فإن ذلك اليوم العظيم فيه من الهول الشديد والكرب العظيم.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** ﴾ [النور: ٣٩]، ولو قال: ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ** ﴾ لكان بلاغة عالية ولكنه لما أراد المبالغة ذكر ﴿ **الظَّمْآنُ** ﴾ لأن حاجته إلى الماء أشد فكان قمة في الإيجاز والإعجاز.

التذييل

التذييل:

هو تعقيب بجملة أُخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، ولما كان أولُ الآية جارياً مجرى العقد، ناسب تذييلها بما يدلُّ على وفاء العهد.

وينقسم التذييل إلى ضربين:

١- الضرب الأول: هو ما يخرج مخرج المثَل بأن يقصَد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جارٍ مجرى الأمثال في الاستقلال وفشو الاستعمال كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

٢- الضرب الثاني: منه لم يخرج مخرج المثل بل يتوقف على ما قبله كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

فقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. فقد ذيلها بتذييلين كل واحد منهما محقق لفائدتها ودال على مضمونها الأول: (أفإن مت فهم الخالدون).

والثاني: قوله تعالى: (كل نفسٍ ذائقة الموت) فهذا توكيد لقوله تعالى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد).

فوائد التذييل:

فوائد التذييل جمَّة عظيمة تزيد المعنى وضوحاً.

قال أبو هلال العسكري:

وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد اتضاحاً.

ومن فوائده - أيضاً -: توكيد منطوقه: كقوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: ٨١].

ومن فوائده تأكيد مفهوم:

كقول النابغة الذبياني:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه
على شعثٍ أيُّ الرجال المهذبُ

فالجملة الأولى تدل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال، وقد أكد بالثانية والاستفهام فيها للإنكار، أي ليس في الرجال مرضي الخصال.

حسن الابتداء

قد قيل إنه ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع

حسن الإبتداء وحسن التخلص وحسن الختام

أولاً - حسن الإبتداء:

هو أن يتلاءم مع المقصود، ويلوّح من الأول بالموضوع ويعرف حسن الابتداء بـ« براعة الاستهلال »

وهو من أرقّ فنون البلاغة وأرشقها، وحدُّه أن يبتدىء المتكلم كلامه بما يشير إلى الغرض المقصود من غير تصريح، بل إشارة لطيفة وإيماءة بعيدة أو قريبة وما سمي هذا النوع (براعة الاستهلال) إلاّ لأن المتكلم يُفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته، ورفع الصوت في اللغة الاستهلال، يقال استهل المولود صارخا إذا رفع صوته عند الولادة، وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسمي الهلال هلالاً؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته[1].

والابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك فينبغي أن يكونا جميعاً مونقين وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رسيقاً كان داعية إلى الإستماع لما يجيء بعده من الكلام ولهذا المعنى يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿الٓمٓ، حمٓ، صٓ، حمٓ، كٓهيعٓصٓ﴾، فيقرع أسماعهم

---

(١) معجم البلاغة العربية (ص ٧٣).

بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية إلى الاستماع لما بعده.

ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله، لأن النفوس تتشوق للثناء على الله[١] ومحل حسن الابتداء الخطب والنثر والرسائل.

وفي الشعر شرطوا أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليه شعراً بغرض الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجاء ونحوه وكذلك في النثر.

ومن أمثلته في الشعر قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حدّه الحدُّ بين الجد واللعب

فقد استهل قصيدته بذكر السيف وفيه إيماءة قريبة جداً إلى الموضوع الذي نظمت القصيدة بصدده.

وما وقع من براعة الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث يقول:

إذا لم يسالمك الزمان فحاربِ ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

فإشاراته من العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ويفهم منها أن بقية القصيدة تعرب عن ذلك[٢].

وقال بعضهم يهنئ بمولود:

---

(١) المرجع السابق، (ص ١٦٥).

(٢) انظر خزانة الأدب (ص ٨).

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وقال بعضهم في التهنئة بالشفاء:

المجدُ عُوفي إذا عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك الألم

وقال بعضهم في الرثاء:

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرارِ

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره غنَّاه إسحاق الموصلي:

يا دارُ غيَّركِ البِلى ومحاكِ ... يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ

فقيل أن المعتصم تطير من ذلك وهدم القصر وكان هذا الابتداء القبيح سبب التشاؤم والخراب[1].

وقد اشتهر أبو الطيب ببراعة مطالعه، ومن روائعها قوله:

أتراها لكثرة العشّاق ... تحسب الدَّمع خلقةً في المآقي

فقد ألمح إلى موضوع قصيدته – وهو الغزل – برشاقة زادها ابتكار المعنى في حسبان الدمع خلقة في المآقي حسناً وجمالاً.

---

(١) **قال بدوي طبانة في كتابه معجم البلاغة (ص ١٦٤):** «ينبغي للشاعر أن يتحرز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير منه ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الآلاف ونعي الشباب وذم الزمان ولا سيما في القصائد التي تستعمل في المراثي ووصف الخطوب الحادثة فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه. ثم ذكر أن الفضل بن يحيى بن برمك أنكر على أبي نواس ابتداءه أربع البكى إن الخشوع لبادي ∴ عليك وإني لم أخنك ودادِ

قال فلما انتهى إلى قوله: سلام على الدنيا إذا ما فُقِدتُم ∴ بني برْمكٍ من رائحين وَغادِ

وسمعه استحكم تطيره، وقيل إنه لم يمض أسبوعٌ حتى نكُبوا»

حسن التخلص

حسن التخلص:

هو أن يسرد الناظم أو الناشر كلامهما في مقصد من المقاصد غير قاصد إليه بانفراده ولكنه سبب إليه، ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود بينه وبين الأول عُلْقة ومناسبة، وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعاً بقصيدته بالغزل حتى إذا فرغ منه خرج إلى المدح على مخرج مناسب للأول، بحيث يكون الكلام آخذاً بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ في قالب واحد(١).

والتخلص في النثر أسهل منه في النظم؛ لأن الناظم يراعي القافية والوزن.

وأولى الشعر بأن يسمَّى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول، وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه، كقول النابغة الذبياني في قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر:

وكفكفتُ مني عبرةً فرددْتُها ... إلى النحر منها مستهلٌ ودامعٌ
على حين عاتبتُ المشيب على الصِّبا ... وقلت ألَمّا أصْحُ والشيبُ وازعُ

ثم تخلص له الاعتذار فقال:

ولكنْ همًّا دون ذلك شاغلٌ ... مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
وعيدُ أبي قابوسَ في غير كنُهه ... أتاني ودُوني راكسٌ فالضواجعُ

---

(١) انظر معجم البلاغة (ص ٢٠٥).

ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك فقال :

فبت كأني ساورتني ضئيلةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابها السم ناقعُ
يسهدُ في ليل التمام سلمُها ... لحلْي النساء في يديه قعاقعُ
تناذرها الراقون من سُوء سمِّها ... تطلقت طوراً وطوراً تراجعُ

فوصف الحية والسَّليم الذي يشبه به نفسه ما شاء، ثم تخلص إلى الاعتذار كان فيه فقال :

أتاني أبيْتَ اللعنَ أنك لمتني ... وتلك التي تسْتكُّ منها المسامعُ

ويروي : « وخُبِّرْتُ خيرَ الناس أنك لمتني »، ثم اطّرد ما شاء من تخلُّص إلى تخلُّص، حتى انقضت القصيدة[١].

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق (١ / ١٥٩) .

حسن الختام

حسن الختام :

ويسمّى (حسن الانتهاء) وهو أن يكون آخر الكلام مستعذباً حسناً، لتبقى لذته في الأسماع مؤذناً بالانتهاء، بحيثُ يبقى المستمعون يحسون ببلاغة المتكلم، ويتمنون الاستزادة من حديثه.

كقول أبي نواس في ختام قصيدته :

وإني جـــديرٌ إذا بلغـــتُك بالمنى
وأنتَ بما أمَّلتُ فـــيك جـــديرُ

فـإنْ تُولني سنك الجـميل فـأهلُه
وإلا فـــإني عـــاذرٌ وشكورُ

وقول غيره

بقـيت بقـاء الدهر يا كـهفَ أهله
وهذا دعـــاء للبـــريَّةِ شـــاملُ

وأخيراً - ها هو البحث قد وصل إلى منتهاه.

فإن كنت - أخي - ممن خصَّهم الله بحفظ الجميل فأقلُّ الجميل في كاتب هذه السطور « حفظه الله بطاعته! » أو « رحمه الله وغَفَر له ولوالدَيْه! ».

وأستودعك – أخي – بهذا الدُّعاء:

بقيت مَدَى الدَهْرِ وَعِلْمُكَ راسخٌ وخيـركَ مَـمْدوُدٌ، ولَيْلَكَ عَامِرُ
يَوَدُ سَنَاكَ البَـدْرُ والبـدرُ زَاهِرُ ويَقْفُوا نَدَاكَ البحرُ والبَحْرُ غَامِرُ
وُهنِّئْتَ أيّامـاً توالى نشـاطُهَـا كما تتوالى في العُقودِ الجَوَاهِرُ

احذر لوثة علماء البيان

احذر لوثة علماء البيان

أي أخي اعلم – علمني الله وإياك – أن جل علماء البلاغة هم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ولا خلاف أن مؤلفاتهم إنما هي خدمة لمذهبهم في الغالب حتَّى إنهم ليسوا على أهل السنة خاصة الذين لم ينتبهوا لمكامن الدس ومواضع التأويل والتحريف، وجل أئمة أهل السنة في البلاغة لم يسلموا من غبارهم[١] أمَّا علماء البلاغة من الشيعة فقد انقلبوا معتزلة في الأصول وسوف أذكر بعض

---

(١) ومن هؤلاء الإمام الخطابي فهو من أهل السنة بالمعنى الخاص فقد وافق أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة وقد خالفهم في بعض الصفات كالنزول والإتيان، والمجيء والضحك والفرح، والأصابع، والقدم، والساق والرجل.

ومن هؤلاء أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وهو إمام من أئمة البلاغة ومن أهل السنة وقد وقع في خطأ وهي قوله «الذين بمعزل عن الشعر» كما في كتابه الوساطة (ص ٦٤) قال ذلك حين تحدث عن فساد العقيدة في الشعر ليجعل من ذلك حجة للدفاع عن أبي الطيب الذي وقع في أخطاء عقدية وهذه العبارة صارت مطية سهلة لأنصار ما يسمى: «الفن للفن» وقد ناقش هذه المسائلة ناصر الخنين في كتابه «الالتزام الإسلامي في الشعر» ومن هؤلاء ضياء الدين ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر وغيره من الكتب القيمة وقد وقع في عدة أخطاء في باب المجاز إذ زعم أن نسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع لأنها جماد وقد رد عليه ابن قتيبة فقال: «وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب؟! والله – تبارك وتعالى – ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل، ويسخر الجبال والطير بالتسبيح» انظر تأويل مشكل القرآن (ص ١١٣).

ومن هؤلاء ابن قتيبة وهو أحسنهم حالاً وقالاً من أهل السنة جملة وتفصيل فهو خطيب أهل السنة كما يصفه بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ولم يسلم من بعض التساهل في ذكر نصوص أدبية تضمنت شيئاً مما يخدش الحياء وبخاصة كتابه عيون الأخبار ومن هؤلاء شرف الدين الطيبي فهو من أهل السنة كما وصفه بذلك ابن حجر في الدرر الكامنة (٢ / ١٥٦) فقال: «كان حسن المعتقد ينهج منهج أهل السنة والجماعة، ويتصدى لبدع الفلاسفة وأقوالهم المنحرفة، ويناقش هذه الأقوال، ويفندها ويبيِّن زيفها» ومع أن الطيبي من أهل السنة إلا أنه لم يسلم من غبار أئمة البيان من المعتزلة والأشاعرة وذلك في تأويله لصفتي المكر، والنفس .. الخ. انظر «بلاغة أهل السنة» ففيه مزيد ايضاح فإذا كان هؤلاء الأئمة لم يسلموا من غبار علماء البلاغة فكيف بنا نحن!

علماء البلاغة خاصة الذين وظفوها لخدمة مذهبهم وتقرير عقيدتهم[١].

الجاحـظ :

هو إمام من أئمة البيان إمام من أئمة البدع[٢] بل إنه إمام الفرقة الجاحظية[٣].

كان حلو المنطق في أسلوبه رشاقة كالشهد يمتاز بحسن السبك، وبراعة التصوير وتطويع النصوص لخدمة معتقده الإعتزالي ومع سوء عقيدته فقد كان مجاناً[٤] تاركاً للصلاة[٥] فاستعذ بالله من نفثه سحر وكن منه على حذر فمن رام استخلاصه وقع في سحر بيانه كالغر التائه الذي أرسله أبوه لشراء علاج فإذا بغداة حسناء تعرض له في طريقه وتستولي على لبه فتطيش بعقله وتنسيه حاجته.

عبد الله بن المقفع:

واحذر – أيضاً – ابن المقفع فإنه مع فرط ذكائه وقوة بيانه متهم بالزندقة[٦] نعته الذهبي فقال: «عبد الله بن المقفع أحد البلغاء ورأس الكتاب وأولي الإنشاء من نظراء عبد الحميد الكاتب وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عمَّ السفاح وكتب له واختص به.

قال الهيثم بن عدي قال له أريد أن أسلم على يديك بمحضر الأعيان ثم قعد يأكل ويُزمزم بالمجوسية. فقال: ما هذا؟!

---

(١) استفدت في هذا الباب من كتاب بلاغة أهل السنة للدكتور محمد الصامل – حفظه الله –.

(٢) قال الذهبي في الميزان (٣ / ٢٤٧) عن الجاحظ: «كان من أهل البدع وقال عنه ثعلب: «ليس بثقة ولا مأمون».
وقال – أيضاً –: «كان كذاباً على الله وعلى رسوله وعلى الناس».

(٣) الفرقة الجاحظية فرقة تنسب للجاحظ قال الإمام عبد القاهر البغدادي: في سياق كلامه على الفرقة الجاحظية كما في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ١٦٠) : «ولو عرفوا جهالته – أي الجاحظ – في ضلالته لاستغفروا الله – تعالى – من تسميته إنساناً فضلاً عن أن ينسب إليه إحساناً.

(٤) مجاناً أي كثير المجون وصفه بذلك العلامة ابن حزم كما في لسان الميزان (٤ / ٣٥٧).

(٥) انظر تاريخ بغداد (٢٢ / ٢١٧).

(٦) السير للذهبي (٦ / ٢٠٨).

قال: أكره أن أبيت على غير دين»(!)[١].

وروي عن المهدي قال: ما وجدتُ كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع»[٢].

أبو بكر الباقلاني:

واحذر الباقلاني صاحب كتاب إعجاز القرآن والانتصار للقرآن فإنه أشعري جلد بل أنه المؤسس الثاني للمذهب الأشعري[٣].

نعته الذهبي فقال: «صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه»[٤].

الشريف الرضي:

هو محمد بن الحسين الشريف الرضي صاحب كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن وكتاب المجازات النبوية.

وصفه الذهبي بأنه نقيب الطالبيين[٥].

وقد استخدم البلاغة لتأويل الصفات.

القاضي عبد الجبار:

هو أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي صاحب كتاب إعجاز القرآن وظفه لخدمة معتقده الإعتزالي بل أنه من أبرع المعتزلة تأويلاً.

---

(١) السير للذهبي (٦ / ٢٠٨).
(٢) المرجع السابق (٦ / ٢٠٨).
(٣) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (ص ٥٤٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٩٠).
(٥) المرجع السابق (١٧ / ٢٣٥).

عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني:

هو إمام البلاغة والمقدم في كل فن من فنونها صاحب الكتب السائرة في البلاغة كأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والرسالة الشافية قال عنه الذهبي: «شيخ العربية، كان شافعياً عالماً أشعرياً ذا نسك ودين»[١].

وقد وظف مؤلفاته لخدمة معتقده الأشعري والرد على خصومهم من المعتزلة وغيرهم، ووقع في تأويل بعض الصفات».

فخر الدين الرازي:

الرازي من كبار الأشاعرة وكتابه التفسير الكبير على طريقتهم وكذلك كتابه الإيجاز في دراية الإعجاز.

نعته الذهبي فقال: «بدت في تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة، وتوفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر»[٢].

ثم نقل عنه قوله في آخر حياته: «تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥]، و ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: ١٠]. وأقرأ في النفي ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: ١١].

ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[٣].

السكاكي:

هو أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي صاحب كتاب «مفتاح العلوم»

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٤٣٣).
(٢) المرجع السابق (٢١ / ٥٠٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١ / ٥٠١).

الذي أصبح قطب الرحى للبلاغة عند كثير من المتأخرين وبخاصة أصحاب الاتجاه العقلي[١] وهو معتزلي جلد.

نعته ياقوت الحموي بقوله: «متكلم فقيه متفنن في علوم شتى»[٢].

الزمخشري:

الزمخشري وما أرادك ما الزمخشري، الزمخشري إمام من أئمة البدع[٣]، إمام من أئمة البلاغة.

له كتاب الكشاف يعد مرجعاً عند جمهور البلاغيين كشف فيه عن أسرار الإعجاز البياني والغوص على المعاني.

لكنه وظف كتابه الكشاف لخدمة معتقده فهو كما قيل عنه: «ينظر إلى القرآن نظرة عامة، فيجعل الآي المناصرة ظواهره للمذهب الاعتزالي محكمة، وتلك التي تخالفه متشابهة، ثم يرد المتشابه إلى المحكم؛ ليخضع تفسيرها للرأي الاعتزالي»[٤].

وقد كان ذكياً في الدس جعلت أحد كبار الأئمة يستخرج بعض ضلالته بالمناقيش[٥] فقد كان يسرق الإنسان حال السكر[٦] بما أوتي من سطوع بيان وبراعة في الكلام.

---

(١) انظر بلاغة أهل السنة (ص ٥٥).

(٢) معجم الأدباء (٢٠ / ٥٨ – ٥٩).

(٣) وصفه الذهبي في السير (٢/ ١٥١): «أنه كبير المعتزلة».

(٤) منهج الزمخشري في تفسيرالقرآن وبيان إعجازه (ص ١٠٦).

(٥) قال الإمام البُلقيني – رحمه الله – كما في الإتقان في علوم القرآن (٢ / ١٩٠): «استخرجت من الكشاف» اعتزالاً بالمناقيش».

(٦) قال الإمام السيوطي كما في التحبير (٣٣٠ – ٣٣١): «ومن لا يقبل تفسيره المبتدع خصوصاً الزمخشري في كشافه» فقد أكثر فيه من إخراج الآيات عن وجهها إلى معتقده الفاسد بحيث يسرق الإنسان من حيثُ لا يشعر، وأساءَ فيه الأدب على سيد المرسلين – ﷺ – في مواضع عديدة فضلاً عن الصحابة وأهل السنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة ما نصه: «ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف» ونحوه حتَّى أنه يروج على خلقٍ كثيرٍ من أهل السنة من تفاسيرهم الباطلة»[١].

وقال عنه الذهبي – رحمه الله –: «صالح لكنه داعية إلى الإعتزال، أجارنا الله، فكن حذراً من كشافه»[٢].

وألف العلامة السبكي كتاباً سمَّاه «الانكفاف عن قراءة الكشاف» ذكر فيه «أنه عقد التوبة من إقرائه، وتاب إلى الله فلا يقرأه، ولا ينظر فيه أبداً لما فيه من الاساءة المذكورة.

وقال: «وقد استشارني بعض أهل المدينة النبوية أن يشتري منه نسخة ويحملها إلى المدينة فأشرت عليه بأن لا يفعل حيَّاءً من النبي – ﷺ – أن ينقل إلى بلدٍ هو فيها كتاب فيه ما يتعلق بجنابه – ﷺ – على أنَّهُ آيةٌ في أنواع البلاغة والإعجاز[٣] لولا ما شانه ممَّا ذكرناه»[٤].

وقال ابن خلدون – رحمه الله – مبيناً مزية تفسيره: «... فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه بلاغية»[٥].

---

(١) مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٨).

(٢) لسان الميزان (٤ / ٧٨).

(٣) انظر – أخي – كيف اتفقت عبارة العلماء على الإشادة بيان الزمخشري لكن كلهم متفقون على التحذير منه ومن كشافه.

وقد قيل:

في زخارف القول تزيين لباطله ... والحق يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن ذممت فقل قيء الزنابيرِ
مدحاً وذماً وما غير من صفة ... سحر البيان يرى الظلماء كالنورِ

(٤) التحبير (٣٣٠ / ٣٣١).

(٥) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٥٣).

أي أخي هذا قليل من كثير وقطرة من مطرة مما عند الزمخشري من الطوام فإذا كان أحد كبار أئمة البلاغة يتترس بعلمه ويستخرج من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش فما أحوجنا نحن إلى الفرار منه فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة!!!

المتنبي:

واحذر – أخي في الله – شاعر الدنيا وشاغل الناس أبياته كالنجوم ضياءً والحدائق بهجة.

فهو كغيره من أئمة البلاغة والبيان الذين يتميزون عن غيرهم برقة الدين وضعف اليقين.

فها هو يقول في رائعته:

يترشفن من فمي رشفاتٍ ... هن فيه أحلى من التوحيد[1]

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –: «فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم في كفة، ثُمَّ زن وزناً يرضي الله ورسوله، ويطابق العدل، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقته أحب إليه من توحيد ربه كما قال الفاسق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفاتٍ ... هن فيه أحلى من التوحيد[2]

السبكي:

هو أحمد بن علي بن عبد الكافي بهاء الدين السبكي من عائلة علم أشعرية أسهمت في كل فن له في البلاغة التصانيف الكثيرة:

كالإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض والاقتناص في الفرق بين

(١) ديوانه (١ / ٦٢).
(٢) الجواب الكافي (ص ٣٥٤).

الحصر والقصر والاختصاص في علم البيان وأحكام كل ما تدور عليه ووشي الحلل في تأكيد النفي بلا وسبب الانكفاف عن إقراء الكشاف.

وهذا الأخير أملاه حين وقف على طوام الزمخشري في كشافه ومخالفته العقدية، ونيله من رسول الله - ﷺ -.

ومما يحمد له: ردوده على المعتزلة في كل مناسبة لكنه لم يسلم من غبارهم فها هو يتفق مع الزمخشري في اللجوء لباب التخييل حين يكون النص مخالفاً لما يراه المعتزلة والأشاعرة.

فها هو يشرح قوله - تعالى -: ﴿**وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧].

نقل عن الزمخشري: «وفيه تفويض مطلق لمعنى القبضة واليمين؛ لأنه يقول: «من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز [١].

ثم اثنى علي باب التخييل بقوله: «ولا نرى باباً في علم البيان أدق وألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات»[٢].

فانظر أخي كيف رجع هذا الإمام من الميدان وبه كلم[٣].

فكن حذراً فانت ترى أن هذا البحر خاض فيه علماء أعلام ومن منهم قد سلم ومن منهم لم يرجع على نفسه بالملام.

التفتازاني:

هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني صاحب شرح التلخيص وغيره من فنون البلاغة. ويحمد له رده على المعتزلة لكنه وقع في التأويل.

---

(١) عروس الأفراح شرح التلخيص (٤ / ٣٥).
(٢) المرجع السابق (٤ / ٣٦).
(٣) كلم: أي جرح.

وقد وصفه أحدهم بأنه « ماتريدي صُلْتٌ »[١].

السيوطي:

هو جلال الدين السيوطي صاحب عقود الجمان في البلاغة وفتح الجليل للعبد الذليل ومجاز الفرسان إلى مجاز القرآن وجنى الجناس، وتلخيص المفتاح وأسرار القرآن البلاغية وهو صاحب الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران.

والسيوطي – رحمه الله – لم يسلم من غبار علماء البيان فقد وقع في التأويل كما في كتابه عقود الجمان فقد تأول صفة المجيء في باب الحذف وجعل المراد مجيء الأمر أو العذاب[٢].

تأويله للقبضة واليمين في باب التخييل[٣].

تأويله لصفتي النفس والمكر في باب المشاكلة إذ يقول: فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري – تعالى – إنما هو مشاكلة »[٤]. تأويله لصفتي الاستواء، واليد في باب التورية[٥].

ابن كمال باشا:

له مشاركة في علوم البلاغة وهو صاحب كتاب المزايا والخوض في الأسلوب البلاغي ورسالة في الفصاحة ورسالة في صياغة الكلام ورسالة في تقسيم المجاز ورسالة في بيان الأسلوب وهو ماتريدي كما ذكر عنه الشمس الأفغاني.

---

(١) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني (١/ ٢٩٣)

(٢) عقود الجمان (ص ٧١).

(٣) المرجع السابق (ص ١٠٠).

(٤) المرجع السابق (ص ١١٠).

(٥) المرجع السابق (ص ١١٣).

وقد وقع في التأويل كما فعل غيره.

يوسف بن مرعي الحنبلي :

هو صاحب القول البديع في علم البديع

خاض في التأويل كما فعل غيره، فهو يجعل قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [طه:٥].

مثالاً للتورية (!).

وهذا تأويل لصفة الاستواء.

حسبك علماء السنة

أي أخي هذا قليل من كثير لتعلم حال علماء البلاغة ولتعلم – أيضاً – أن أكثر الفرق تأليفاً في البحث البلاغي هم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ثم يأتي بعد ذلك أهل السنة[١] ولا خلاف أن مباحثهم البلاغية إنما هي في الغالب خدمة لمذهبهم والتُّكْأَة التي اتكأوا عليها هي المجاز[٢].

---

(١) انظر بلاغة أهل السنة (ص ١٢٥).

(٢) قال الشيخ مصطفى بن عيد الصياحنة في بحث له بعنوان مفاسد المجاز المنشور بمجلة البحوث الإسلامية (عدد ٤٧) ما نصه: «المجاز صنعة إعتزالية كلامية محضة تقوم على أساس صرف الألفاظ العربية عن منطوقها وتحويل هذا المنطوق عن دلالاته المألوفة المعهودة، عند العرب ولدي رجالاتِ الصدرِ الأول في الإسلام هذا بالإضافة إلى كونه التُّكْأَةَ التي اعتُمد عليها لتعطيل صفات الخالق – وإنكار حقائق أقواله وأفعاله – سبحانه – وليِّ عُنقِ مفهومِ الإيمان عن دلالته ومعناه، وتشويش دلالات آياتِ الكتابِ الحكيم في أذهان عامَّة المسلمين.

وسوف نحاولَ – هنا – الوقوفَ على أهمّ هذه المفاسد الناجمة عن القول به، وإقرار وجوده في القرآن الكريم ولغة العرب، مُنَبِّهين على ما له من أخطار، تركت بصماتها واضحةً في مجال النيل من أصول هذا الدين الحنيف، وزعزعةِ – بل وتحطيم – مرتكزاته المُثلى باعتباره الطاغوت الرَّديف لطاغوتي: التأويل، وتقديم العقل على النقل والتحاكم إليه في مجالات العقيدة والتشريع والتفسير والاجتهاد.

القول بالمجاز بدعة ضلالة.

فالقولُ بالمجاز بدعةٌ محدثة واصطلاحٌ حادثٌ، ما عُرِف إلاَّ بعد القرونِ الثلاثة الأولى المشهودِ لها بالخيرية. فما نقل عن أحد من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – ولا من التابعين، ولاَ من تابعيهم بإحسان، أنَّه قال به أو أشار إليه.

كما لم يتكلَّمْ به أحدٌ من الأئمة المشهورين في العلم؛ كأبي حنيفة، ومالك، وإسحاق بن راهوية، أو الليث بن سعد.

بل ولا تكلم به أو التفت إليه أحدٌ من أئمة اللغة كالخليل بن أحمد، وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، والفرَّاء، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي وأبي عمرو الشيباني.

وأولَ من تكلم بلفظ (المجاز): أبو عبيدة مَعْمر بن المُثنَّى، المتوفي سنة ٢١٠ هـ صنَّف بعنوان (مجاز القرآن) إلاَّ أنَّه لم يَعْنِ به قسيمَ الحقيقة، وإنَّما عني بمجاز الآية: معناها وتفسيرها، على عادةِ غيره، =

وقد أنكار المجاز في القرآن ولغة العرب بالكلية وممن أنكره أبو اسحاق الأسفرائيني والإمام ابن تيمية في فتاويه، وتبعه تلميذه ابن القيم في الصواعق المرسلة حيث عقد فيه فصلاً مطولاً بعنوان (فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز) وقد ذكر فيه أكثر من خمسين وجهاً في ابطال حجج القائلين بالمجاز، وكشف عوره وما له من سيئ الأثر على عقيدة المسلم وتوجيه آيات الله في كتابه العزيز.

= ممن سمِّي كتابه في فهم دلالات العزيز: (معاني القرآن) ليس غير.

كما ورد استعمال لفظ المجاز على لسان الإمام أحمد بن حنبل المتوفي سنة (٢٤١ هـ) في كتابه: (الرد على الجهميَّة والزَّنادقة) (ص ١٠١) حيثُ قال – رحمه الله –: « أمَّا قولُه – سبحانه – لموسى ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥]. فهذا من مجاز اللُّغة، يقول الرجلُ للرجل: إنا سنجزي عليك رزقك، إنَّا سنفعل بك كذا.

وأما قولُه: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦]، فهو جائزٌ في اللُّغة، يقولُ الرجل الواحد للرجلُ: سأجري عليك رزقَك، أو سأفعلُ بك خيراً ».

وواضحٌ أنَّ مُرادَ الإمام أحمد من استعماله لفظَ (المجاز): أنَّ ذلك ممَّا يجوزُ في اللغة، كأنْ يقولَ العظيمُ الذي له أعوان: إنَّا فعلنا كذا، وسوف نفعلُ كيت، لا أنه استعمال اللفظ في غير ما وضِعَ له، وأنَّه خلافُ الحقيقة ... ومما يؤكد مراده هذا، قوله في التعليق على الآية الثانية: « فهو جائزٌ في اللغة »، فدلَّ ذلك على أنَّه أراد بـ (المجاز) الجائزَ لغةً، لا المجازُ بمدلوله الاصطلاحي الذي وضعه المتأخرون وتعارفوا عليه.

وإنَّه أول من تكلَّم بالمجاز – بمعناه الاصطلاحي، الذي هو نقيض الحقيقة – المعتزلةُ والجهميَّةُ ومن تبعهم من أهل الكلام، اشتهر القول به عنهم بعدَ المائة الرابعة للهجرة وليس من بين من قال به منهم عَلَمٌ من أعلام الإسلام الذين يُوثَقُ بهم في فن من فنون الإسلام المختلفة، كالتفسير أو الحديث، أو الفقه، أو علم أصول الفقه أو اللغة العربية.

فدلَّ هذا كلُّه: على أنَّه القولَ بالمجاز، إنَّما هو بدعةٌ اعتزالية محضة، وصنعةٌ كلاميَّة صِرْفة، اجتُهد في نشرها والتبشير بها، وتدعيم أصولها، ووضعِ قواعدها، بعد المائة الرابعة؛ لتحقيقِ أغراضٍ مستورة، تلتقي في نهايتها، للعملِ على زعزعة أصول هذا الدين، والنيل من ثوابته، وصرفَ الناس عن فهم هذه الأصول وتكلمِ الثوابتِ الفهمَ السَّديد، مُواكبة في ذلك كلِّه لبدعةٍ أخرى، ظهرتْ هي الأخرى مزامنةً معها، موافقةً لها، في المصدر والنَّشْأة، والمنهج والغرض، ألا وهي: بدعة التأويل.

هذا ... علماً بأنَّه لو كان في القول بالمجاز والتأويل، أدني ذرَّةِ خير – أو أدق شعرة فضل – لكان صحبة رسول الله – ﷺ – ومن بعدهم من أهلِ القرون المفضلة أسبق الناس إليه، بإعتبارهم السَّابقين – أبداً – إلى كلِّ خيرٍ وفضلٍ – لا أنْ يكونَ سبَّاقاً إليه أعلاجُ علمِ الكلام، وصيارفةُ البدعِ، ومتنطِّعو مذهبِ الاعتزال. =

واعلم – أخي – أن علماء البيان من أهل السنة كثير كالخطابي، وابن الأثير وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وابن جرير وابن القيم وأبي اسحاق الأسفرائيني.

وحسبك بابن قتيبة خطيب أهل السُّنَّة، فإنه يفوق الجاحظ من حيث النسق وحسن التبويب مع سعة العلم حتَّى قيل عنه (دائرة معارف).

تعطيل الصفات:

ثم إنَّ القول بالمجاز قاد إلى القول بتعطيل صفات الخالق – سبحانه – وإذا ركبه المُعطلون، للوصول إلى نفي صفاته – جلَّ وعلا – الواردة في الكتاب والسنة.

فقد جعلوا يَد الله ووجهَه وساقَه واستواءَه ونزوله وعلوَّه وكلامَه ونورَه ومجيئَه .. مجازات، لا تُراد بها حقائقُها، ثم انطلقوا إلى نفيها، قائلين:

إنه لا يَد له – سبحانه – ولا ساق، ولا وجهَ، ولا استواءَ، ولا نزول، ولا علوٌ قالوا: ويد الله في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، مجاز، هي بمعنى: النَّعمة أو القُدرة. ووجهُه – جلَّ جلالُه – حيثُ ورد في الكتاب والسُّنة مجاز: إمَّا على تقدير أنه لفظٌ زائد، أو أنه بمعني الذَّات، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٢٠–٢١]. يكون التقديرُ: ويبقى ربُّك. وإلا ابتغاء ربِّه أو: ويبقى ذاتُ ربِّك، وابتغاء ذاته.

والرحمن .. الذي هو اسمٌ من أسماءِ الله – سبحانه –، قالوا عنه: إنه مجاز؛ لأن الرأفة والشفقة والرحمة، إنما هي رقَّةٌ تعتري القلب، وهي من الكيفيات النفسية، والله مُنزَّهٌ عنه ذلك.

يقولون هذا، والله – تعالى – يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهل هنا إلحادٌ في أسماء الله أعظمُ من إنكار حقائقها، (!) والتصريح بأنَّها مجازات!؟

قالوا: والمجيءُ الواردُ في قوله تعالي: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. إنما هو من مجاز الحذف وتقديره: «وجاء أمرُ ربك» والاستواء الوارد في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. مجازٌ، بمعنى استولى، أو بمعنى: قصد وأقبل على خَلقه وليس هو الاستواء الذي استقرَّ؛ لأن الاستواء – بهذا المعنى – لا يكون إلا للمخلوقين. وأنكروا أن يكون الله نوراً، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وقالوا: هذا مجاز معناه: منوِّر السماوات والأرض بالنور المخلوق، أو بمعنى هادي أهل السموات والأرض، مع العلم أنَّ (النور: اسمٌ من أسماءِ الله فهو نورٌ، وحجابه النُّور، وهذا ما تدل عليه الآياتُ الكريمةُ والأحاديثُ النبويَّةُ الصحيحةُ الثابتةُ.

كما أنكروا صفة الفوقيَّة والعُلوّ للخالق – سبحانه – في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. قائلين: هي مجاز، بمعنى: فوقيَّة الرُّتبة والقهر، لا بمعنى الفوقية التي هي علوٌّ ذاتِ الشيء.

ولا شك أن هناك نوع من الجواهر لا توجد إلا عند غيرهم، فمتى أرسلت كلبك المعلم في أثرها ما كان عليك من جناح، لكن متى أرسلت كلبك غير المعلم فالله المستعان.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. أنكروا أن يكون (كلام الله) بصوتٍ وحرفٍ على الحقيقة وقالوا: بل هو مجاز، إذ أنَّه الله لا يتكلَّمُ بصوتٍ وحرفٍ على الحقيقة، وقالوا: بل هو مجاز، إذ أنَّ الله لا يتكلَّمُ بصوتٍ وحرفٍ، وإلاَّ أشبهَ المخلوقين، بل هو خَلقَ كلاماً أسمعه موسى.

أمَّا في قوله ﷺ: «ينزلُ ربُّنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى السماءِ الدُّنيا، حين يبقي ثلثُ الليلِ الآخر، فيقولُ: من يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألُني فأعطيه؟ مَنْ يستغفرُني فأغفرَ له؟» [رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)] فقد قالوا: إنَّ النزولَ المُرادَ هنا: إنما هو نزولٌ أمرِه – سبحانه – لا نزولُه هو. لأن لفظ (ينزلُ) هنا مجاز، لا حقيقة.

وهكذا مضوا في نفي الصفات الثابتة للخالق – سبحانه – بالوحي، عن طريق القول بالمجاز.

وحجتهم في ذلك كله: إن الألفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوق، إنما تكون هي وأفعالها ومصادرتها وأسماء الفاعلين والصفات المشتقة منها، حقيقة في حق المخلوق، مجازاً في حق الخالق.

ولو أنَّا طردنا هذا القياس، فإن رب العالمين لا يكون موجوداً حقيقةً، ولا حياً حقيقةً، ولا مريداً حقيقةً، أو قادراً، أو مالكاً على الحقيقة؛ لأن الموجود والحياة والإرادة والقدرة والملك، هي حقائق في حق المخلوقين، فلا تكون إلا مجازاتٍ في حق خالق هؤلاء المخلوقين.

وهذا هو عينه المذهَب الذي صار إليه جَهْمُ بن صفوان ودرجَ عليه أصحابُه من بعده.

وفي الحق أن كل من يمعن النظر في حقيقة المجاز ومآله يجد أن هذا القول لازمٌ لكل من أدعى المجاز في شيءٍ من أسماء الله وأفعاله، لزوماً لا محيصَ له عنه بحال. قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – تعليقاً على هذا الذي ذهبوا إليه (مختصر الصواعق [٢ / ٢٨٦]) (فإذا كان كلام الله وتعليمه وخطابه، ونداؤه وقوله وأمره ونهيه ووصيته، وعهده وحكمه، وإنباؤه، وإخباره وشهادته، كل أولئك مجاز، لا حقيقة له، بطلت الحقائق كلها، فإن الحقائق إنَّما حقت بكلمات تكوينه: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢]. فما حقت الحقائق إلابقوله وفعله سبحانه». اهـ.

تحطيم مدلول كلمة التوحيد:

كما وإن القول بالمجاز يؤدي إلى: المساس بمفهوم كلمة التوحيد، والتشكيك في دلالتها، وزعزعة ما ترمي إليه من حقائق ودلالات ومعاني.

قالوا: إن كل عام إذا خُصَّ صار مجازاً، ولو كان التخصيص بطريقة الاستثناء وعليه فإن (لا إله إلا الله) مجاز، باعتبارها عموماً قد خصَّ بطريقِ الاستثناء، فهي ليست على حقيقة منطوقها ودلالة لفظها.

وهم بذلك فاقوا – في هذه المسالة – ما ذهب إليه أهل الجاهلية، فإن أولئك قد اعترفوا بالله رباً

وخالقاً، إلا أنهم رفضوا الإذعان لمدلول: «لا إله»، فأقروا بوجود آلهة أخرى مع الله، في حين أن هؤلاء جعلوا كلمة التوحيد برمتها محمولةً على المجاز.

ومن المعلوم أن من علامات المجاز: صحة نفيه، ونقص درجة دلالته، عن درجة دلالة الحقيقة.

ثم إن بعضهم ذهب إلى: أنَّ (محمد رسول الله) مجازٌ – أيضاً – كيف؟!

ذلك أن لفظ (رسول) قُيِّدَ بطريق الإضافة، وكلُّ مُقيَّد – عندهم – مجاز؛ لأن اللفظ إنما وضِعَ أصلاً مُطلقاً لا مُقيداً، واستعماله مقيَّداً استعمالٌ له في غير ما وضِعَ له، كاللَّفظ العام إذا خُصَّ سواءً بسواءٍ، فهذا صار – بتخصيصه – مجازاً، كما صار هذا بتقييده – مجازاً – أيضاً – وبذا توصلوا إلى تحطيم مدلول كلمة التوحيد، والاتباع بشقيها: (لا إله إلاَّ الله) و(محمد رسول الله)(!).

وكفىٰ بالمجاز فساداً، إيصاله أصحابه والقائلين به إلى هذه الدرجة من التنطُّعِ والغلوّ والانحراف.

قصر (الإيمان) على التصديق:

ثم إنهم – عن طريق قولهم بالمجاز – قصروا مفهوم (الإيمان) على التصديق، وأخرجوا من مسمَّاه العمل.

قالوا: فلفظ (الإيمان) يدل على التصديق حقيقة، وما دلالته علي الأعمال إلا بطريق المجاز، وبذلك فرَّغوا (الإيمان) من محتواه، وخالفوا ما دلت عليه النصوص الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة، وحجتهم في ذلك: أن لفظ (الإيمان) لغةً: التصديق، وهو العلم، ومحله القلب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]. أي بمصدق لنا، فوجب أن يكون الإيمان في الشرع هو الإيمان المعروف في اللغة. وهذا هو مذهب الجهمية وسائر المعتزلة.

والجواب على هذا: إننا لم نسمع عن أحدٍ من أهل اللغة السابقين أنه نقل عن العرب إجماعهم على أن الإيمان إنما هو بمعنى التصديق، بل إن هؤلاء العلماء من أهل اللغة، إنما ينقلون الكلام المسموع من العرب في زمانهم وما سمعوه من دواوين أشعارهم لا أنهم ينقلون عنهم أنهم قالوا: هذا اللفظ ليس معناه إلاَّ كذا وكذا، ولو قُدِّرَ – جدلاً – أنهم نقلوا عنهم ما يُفهمُ منه، أن الإيمان معناه: التصديق، فإن نقل المسلمين كافَّة وبالخبر المتواتر – للقرآن الكريم وكلام المصطفى –ﷺ–، لا شك أبلغ من جميع نقولهم، وقد دلَّت آيات القرآن والأحاديث الشريفة على أن مدلول الإيمان متضمنٌ للعمل.

١– قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١–١١]. فقد ساق سبحانه – مجموعة من الأعمال، وجعلها عمدة إيمان المؤمن، ودليلَ فلاحه في الدارين.

٢– وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة:

١٥]. فنفي الإيمان عن غير هؤلاء، ممن كان إذا ذُكرّ بالقرآن لا يفعلُ ما فرضه الله عليه، من السجود والتسبيح، واتصافهم بعدم الاستكبار، وهذه كلُّها أعمالٌ داخلةٌ في صميم مسمًّى: (الإيمان).

٣- وقال: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].
فجعل من (الإيمان) عدم موادَّةِ أهلَ الكفر والركونَ إليهم.

٤- وعن البراء بن عازب قال: « إنه مات على القبلة - قبل أن تُحوَّلَ - رجالٌ وقُتِلوا، فلم ندر ما نقولُ فيهم فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣] (رواه البخاري [٤٠]).
فقد جعل الله - سبحانه - الصلاة من الإيمان؛ لأن معنى الآية: وما كان الله ليُضيعَ صلاتكم، التي كنتم تتوجهون فيها إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى مكة المكرمة.
كما ورد عن النبي -ﷺ- أحاديث كثيرة تفيدُ أن (العمل) من (الإيمان)

١- فقد قال ﷺ: « الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان » [مسلم (١ / ٤٦)]

٢- وقال -ﷺ-: « والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتَّى يحبَّ لجاره أو لأخيه ما يحبُّ لنفسه » [رواه مسلم (١ / ٤٩)].

٣- وقال - ﷺ -: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن، ولاينتهبُ نهبةً ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » [رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (١ / ٥٤)].

فجعل - عليه الصلاة والسلام - قول: لا إله إلا الله، وإماطة الأذى، والحياء، ومحبة المسلم، والجار، وتجنب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر والنُّهبي، كل أولئك من الإيمان، وهي جملة أقوالٍ وأعمالٍ.

ومن هنا، كفَّر الإمام أحمد ووكيع بن الجراح - شيخ الشافعي - من قال: إن الإيمان هو التصديق فقط. [مجموع الفتاوى (٧ / ١٢٠)].

وقد ضرب القائلون بالمجاز بكل هذه الأدلة عرض الحائط، وذهبوا يعتمدون على مغالطاتٍ ذهنيةٍ باردة للتدليلِ على أن الإيمان إنما هو التصديق فقط، وأن العمل لا يدخل في مُسماه إلاَّ بطريق المجاز.
وهي مهزلة مذهلة وباردة، جنت على الإسلام، وحطَّمت آصَلَ أصوله وأرسى دعائمه.

صرف ألفاظ الوحي عن دلالاتها الحقيقة:

والقول باعجاز يؤدي إلى صرف ألفاظ الوحي بشقيه: الإلهي والنبوي، عن دلالاتها الحقيقة التي ما جيء بها إلا لتأدية معانيها عن طريقها.

فقولهم: إن أكثر ألفاظ اللغة مجاز، وكذلك عامة أفعالها: كقام وقعد وانطلق وجاء؛ لأن الفعل يستفاد منه الدلالة على استغراق الجنس، في حين أن الفاعل لا يكون منه تأدية ما يستغرق الفعل.

فمثلاً فعل (قام) يدل على: استغراق جنس القيام، والجنس يطلق على: جميع الماضي، وجميع الحاضر، وجميع الأمور الكائنات، ومن كل مَنْ وجِدَ منه القيام.

ومعلومٌ أنَّه لا يجتمع لإنسانٍ واحدٍ – في وقتٍ واحدٍ، ولا في مائةِ ألف سنة – جميعُ القيام، الداخل تحت مضمون دلالة (الفعل (قام) .

وإذا كان الأمرُ كذلك، علمتَ أن (قام زيد) مجاز لأن زيداً هذا – عندما قام – لم يستطع أداءَ القيام بصورته الاستغراقية المُثلى، ولن يستطيعَ مهما حاول وأجلب، فكان قولنا عنه: بأنه (قام) مجازاً.

وعليه يكون قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]. وقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]. وغير ذلك من الآيات التي فيها ذِكرُ فعله سبحانه، إنما تكون كلُّها – بحسب مفهومهم – مجازاً.

قالوا: (وكذلك أفعال الله – سبحانه – نحو: ﴿خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما كان مثله، ألا ترى أنَّه عزَّ اسمه، لم يكن بذلك خلق أفعالنا ولو كان خالقاً حقيقةً لا محالةً، لكان خالق الكفرِ والعدوانِ وغيرهما من أفعالنا، ألا ترى أن قولَكَ: (ضربتُ عمراً) مجاز؛ لأنك إنما فعلت بعضَ الضرب، لا جميعه الاتراك تقول، ذلك، ولعلك إنما ضربت يدَه أو أُصبعه، أو ناحيةً من نواحي جسده، ولهذا إذا احتاط الإنسان جاء ببدلِ البعض، وقال ضربتُ زيداً رأسَه » [هذا الكلام قال: ابن جني ونقله عنه ابن القيم في مختصر الصواعق (٢ / ٧٦–٧٧)].

قلت: وبذلك تصبح ألفاظ الكتاب العزيز وكلام المصطفى –ﷺ– مجازات لا تدل على حقائقها بحال، فتصير كلمات الله وكلام نبيه ليس أكثر من تمتمات لا مرادات لها، فتتخلصَ بالتالي من تكاليفها، ونُطلقَ العنان لأنفسنا نفعل ما نشاء، ونقول ما نشاء ما دام أنه ليس أمامنا ما يُلزِمنا بفعلٍ أو قولٍ معيَّنين، أو يصرفنا عن شيءٍ من الأفعال والأقوال، فكلُّ الألفاظ مجازاتٌ لا دلالة لها، ولا مضمون ولا محتوى، وبذا نَصِلُ إلى تفريغ القرآن والسنة من محتواهما، ونُصيِّرُ منهما مجرد تراتيلَ وتلاوات تتلى لمجرد التبرُّك، ليس غير.

قالوا: والتوكيدُ علامةٌ من علامة المجاز؛ وعليه فإن قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. مجاز، بدليل توكيده، ومثله قوله تعالى عن بلقيس ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. فهو مجاز، بدليل استخدام التوكيد بـ(كل) وهي لم تُؤتَ لحيةَ رجلٍ ولا ذَكَرَه.

ومثله قوله – أيضاً –: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فمجاز، فهو سبحانه شيء، وهو مما يستثنيه العقل ببديهته، ولا يحوج إلى التشاغل باستثنائه، فإن الشيء – كائناً ما كان – لا يخلقُ نفسه ».

[انظر أقوالهم هذه – وغيرها – فيما نقله عنهم ابن القيم في كتابه « الصواعق المرسلة » [٢ / ٨٢]).

وقد بلغ بهم الحدُّ في التمحُّل، أن قالوا: قولُكَ: (قطع الأميرُ اللّصَ) مجاز؛ لأن القطع قد يكون بأمره لا بيده، فإذا قلتَ: (قطعَ الأميرُ نفسُه اللصَّ) رفعتَ المجاز من جهة الفاعل، وصرتَ إلى الحقيقة، ولكن بقي عليك التجويزُ في مكانٍ آخر، وهو جهةُ اللص، فإنَّما قطعَ منه يَدهَ أو رجَله لا كلَّه، فإذا احتطتَ قلتَ: (قطعَ الأميرُ نفسُه يدَ اللصِّ)، وهذا – أيضاً – مجاز، ولكن من جهةٍ

المجاز سُلَّم الباطنيَّة :

ثم إن المجاز – ورديفة التأويل – هو السُّلم الذي اعتلته الفرقُ الباطنية، من أجل بلوغ أغراضها، والتُّكأةُ التي اعتمدت عليها لزخرفة أفكارها، وعرضها على الناس بصورة جميلة مستحسنة بغيةَ التدليس عليهم، وبالتالي إيقاعهم في شَرَكَ حبائلها الجهنمية الضالة.

قالوا: (لا إله إلا الله. محمد رسول الله) مجاز، لا يدُلُّ على ظاهر لفظه، وإنما هو دليل على الأئمة السبعة، و(لا إله إلا الله) إثنا عشر حرفاً، دليل علي الحجج الاثنى عشر.

وكذا (بسم الله الرحمن الرحيم) تسعة عشر حرفاً، هي دليلٌ على سبعة الأئمة، والاثنى عشر حُجَّة[١].

قالوا: والقرآن الكريم هو تعبير محمد –ﷺ– عن المعارف التي فاضت عليه، ومُركَّبٌ من جهته، وقد سُمِّي (كلام الله) مجازاً (!!!).

وقالوا: بإبطال القول بالمعاد والعقاب، وأنكروا الجنَّةَ والنار، وما الجنَّةُ إلا نعيمُ

= أخرى وهي أنَّ اليدَ اسمٌ للعضو إلى المَنكب، والأمير لم يقطعها كلَّها، وإنَّما قطع بعضَها، فإذا احتطت قلتَ: (قطعَ الأميرُ نفسُه يدَ اللصِّ ما بينَ الكوعِ والأصابع) وهذا – أيضاً – مجاز من جهة أنك سمَّيتَهُ: لصَّاً، وذلك يقتضي استغراق جميع أفراد اللصوصيَّة، وهو مُحال باعتبارك أوقعتَ البعضَ على الكَلِّ، فإن احتطت قلتَ: (قطعِ الأمير نفسُه يد من وجد منه بعضَ اللصوصية ما بين الكوع إلى الأصابع)(!) وهذا مجاز – أيضاً –! من جهة أن الفعلَ (قَطَعَ) دالٌّ على جميع أفراد الجنس قاطبةً، من لدُن آدم – عليه السلام – إلى آخر فردٍ من أفراد البشرية، إذ هو – في الحقيقة – واقعٌ على فردٍ واحدٍ من أفراده، لا عليهم كلهم، فإذا أردت الاحتياطَ لهذه المسألة فعليك أن تقول تحديداً:

(أوقع الأمير نفسه فرداً من أفراد القطعِ على يد واحدٍ ممن وجد منه بعضَ اللصوصيَّة، ما بين الكوع إلى الأصابع) . . . وبذا – فقط – تتحوَّلُ العبارة من حيز المجاز إلى حيز الحقيقة (!!!).

فهل بقي سخفٌ أبعدُ شأواً من هذا السخف؟!!! وهل هناك تمحُّلٌ أبلغُ سماجةٌ من مثل هذا التمحُّل؟!!

(١) انظر: «بيان مذهب الباطنية وبطلانه «محمد الحسن الديلمي» (ص ٤١، ٤٣).

الدنيا، وما العذاب إلاَّ اشتغالُ أصحاب الشرائع بالصلاة والصوم والحج والجهاد[١].

ثم انتقلوا إلى التكاليف والمصطلحات الشرعية واليقينية، فأعملوا فيها معاولَ المجاز والتأويل، فغدت رموزاً إلى بواطن لا أكثر.

فالجنابة – مثلاً – هي مبادرة المستجيب بإفشاء ما أُلقيَ إليه من أسرار.

والغُسل: تجديدُ العهدِ على فعل ذلك.

والصيام: الإمساك عن كشف الأسرار.

والجهاد: صبُّ اللعنات على الخصوم.

والبعث: الاهتداء إلى مذهبهم الباطن.

والزكاة: بثُّ العلوم لأهل مذهبهم ودينهم، يتزكَّون بها[٢].

---

(١) انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص ٣٩٦ – ٣٩٧). الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

(٢) انظر: «الشيعة، المهدي، الدروز: تاريخ ووثائق لعبد المنعم النمر (ص ١٢٢ – ١٢٣) والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص ٣٩٦ – ٣٩٧). و«بيان مذهب الباطنية» (ص ٩٦).

قالوا: (اعلم أن كل ما ورد في كتاب الله – عز وجل –، من ذكر الجنَّات والأنهار والنخيل والأعناب وجميع الشهوات، هو دالٌّ على الأئمة – عليهم السلام –، ثم على الحُجج، ثم على اللواحق، ثم علي الدعاة، ثم على المستجيبين البُلَّغ، ثُمَّ على الأدنى فالأدني. وما ورد في كتاب الله من الجِبْت والطاغوت وإبليس وهاروت وماروت ويغوث ويعوق ونَسْر وودٌّ وسُواع، فمثلهم وشكلهم على أهل الظاهر – أي أهل السنة والجماعة – ورؤسائهم وعلمائهم بعد أئمتهم الجائرين، المعاندين لأهل الحق، الذين هم أهل الباطن».

وقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

الشمس والقمر: الحسن والحسين.

وفي قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]. أي ظهور الإمام الغائب، وفي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣].

الميتة هي الاعتماد على ظاهر القرآن دون الالتفات إلي باطنه.

أمَّا ﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾ فالذي نقض العهد، هو المنخنقُ تحت السكّن.

أمَّا ألفاظ القرآن فجميعُها مجازات، تخضع لتأوُّلات عقولهم، وتوجُّهات أهوائهم.

= و﴿الْمَوْقُوذَةُ﴾ ما ضُرِب بعصا الداعي. و﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: ما استزله منافق، أو وقع عليه عذابٌ من الشيطان فكشف أمرَ الله». وفي قوله – ﷺ –: «إذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرِّقوا وغربوا» [رواه البخاري (٣٩٤)، ومسلم (٢٦٤)]. فقالوا: القبلة مجاز(!)، لا كما تفهمَ على ظاهر لفظها، إنها رمزٌ للإمام، ومعنى الحديث: أي لا تظهروا ولايةَ الإمام، ولا تظهروا البراءة منه».

وقد سلكت غلاة الصوفية المسلكَ نفسه، فأوغلوا في النظرة المجازية إلى عبارات الكتاب الكريم، ومضوا يتعسفون في تأويلها، حسب أهوائهم، وبما يتفق وشطحاتهم المعهودة.

ففي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

قال ابن عربي: «هي الحقيقة المحمدية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني الإلهي»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

قالوا: (أنزل من السماء أنواع المكرمات، فأخذ كلُّ قلبٍ بحظّه ونصيبه، فسالتْ أوديةُ قلوبِ العلماء وأودية قلوب الصوفية»(٢).

وغنيٌّ عن القول أنَّ كل هذه الانحرافات والتجاوزات ما كانت لتكون لولا انفتاح مجال القول بالمجاز والتأويل والتحاكم إلى الهوى، مُشْرَعَةً أبوابهُ على مصراعيها، أمامَ أصحاب المذاهب الساقطة ... فولجوها من كل جهة وصوب، تملكهم فرحةُ الاقتدار – بذلك – على ليِّ أعناق النصوص، وتحويلها عن مراداتها الفعليَّة، وتغمرهم نشوةُ الوصول إلى التفلُّت من طوق الأحكام الربانيَّة، وهو الهدفُ الذي ما برحوا يسقون إليه، بمختلف الوسائل وشتى الطرق الأساليب.

نقض درجة المجاز:

وأخيراً: فإنَّ القول بالمجاز، يوهم درجته عن درجة الحقيقة لاسيَّما وإنَّ من علامات المجاز صحَّة نفيه، وهذا يؤدي إلي توليد شعور جاد وإحساس صادقٍ وحقيقي – لدى المُتلقي – بأنَّ هذه العبارة – والتي قيل بمجازيَّتِها – هي أقل دلالةً، وأضعفُ أداءً من العبارة الأخرى، المحمولة كلُّ ألفاظها على الحقيقة. وإذا نحن طردنا مثل هذا الاعتبار على كلام الله – سبحانه وتعالي – وكَلام نبيه – ﷺ –، وقعنا في شَرَكِ امتهانَ الوحي، والحطِّ من قَدْره، والمساس بعظمته وقدسية شانه، وهو أمرٌ لا يرضاه مسلم، يحرصَ على براءة ذمته، ويُظهِر أدنى درجات الأدب، والسلوك الإسلاميين، حيال كتاب ربِّه، وسنة نبيه – ﷺ – وهكذا، فإنه لو لم يكن في القول بالمجاز سوى مفسدة واحدة، من جملة هذه المفاسد التي ذكرنا – لكفانا ذلك عذراً لرفضه وإنكاره، ورفع لواء محاربته، خاصةً وإنَّ قاعدة: (درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح) قاعدةٌ معتبَرة في شرعنا فكيف وليس في المجاز منفعةٌ مُرجَّحةٌ للقول به واحدة؟!!

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (١/ ١٥٢).

(٢) عوارف المعارف على هامش إحياء علوم الدين لعمر بن محمد السهرودي المتوفي سنة ٦٣٢ (١/ ٢٠٠).

فهرس

ملحق خـــاص

العصر للطباعة
فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٠٣٨